نقد العقل المعاصر

علي بن إبراهيم النملة

صناعة الكراهية بين الثقافات

وأثر الاستشراق في افتعالها



علي بن إبراهيم النملة

متخصص بالمكتبات والمعلومات

-من مواليد منطقة القصيم ١٣٧٢ هـ /١٩٥٢م.

-دكتوراه من جامعة كيس وسترن رزرف.

-عمل في مناصب ثقافية وإدارية في السعودية وخارجها:

- أستاذ جامعي في تخصصه.
- وكيل كلية العلوم الاجتماعية.
- مدير الشؤون الدراسية بالملحقية الثقافية السعودية في واشنطن.
- عضو مجلس الشورى.
- وزير العمل والشؤون الاجتماعية.

-له أكثر من ثلاثين مؤلفاً عن الاستشراق والتنصير وغيرهما من قضايا الساعة غير المقالات والدراسات الأكاديمية .

دار الفكر

آفاق معرفة متجددة





حاضنة اللغة العربية

- **أسست** عام ١٩٥٧م (١٣٧٦هـ).
- **رسالتها:**
  - تزويد المجتمع بفكر يضيء له طريق مستقبل أفضل.
  - كسر احتكارات المعرفة، وترسيخ ثقافة الحوار.
  - تغذية شعلة الفكر بوقود التجديد المستمر.
  - مدّ الجسور المباشرة مع القارئ لتحقيق التفاعل الثقافي.
  - احترام حقوق الملكية الفكرية، والدعوة إلى احترامها.
- **منهاجها:**
  - تنطلق من التراث جذوراً تؤسس عليها، وتبني فوقها دون أن تقف عندها، وتطوف حولها.
  - تختار منشوراتها بمعايير الإبداع، والعلم، والحاجة، والمستقبل، وتنبذ التقليد والتكرار وما فات أوانه.
  - تعتني بثقافة الكبار، وترنو لتأهيل الصغار لبناء مجتمع قارئ.
  - تخضع جميع أعمالها لتنقيح علمي وتربوي ولغوي وفق دليل ومنهج خاص بها.
  - تعدّ خططها وبرامجها **طويلة الأمد** للنشر، وتعلن عنها: دورياً.
  - تستعين بنخبة من المفكرين إضافة إلى أجهزتها الخاصة للتحرير، والأبحاث، والترجمة.
- **خدماتها ونشاطاتها:**
  - نادي القارئ النهم (الأول من نوعه في الوطن العربي).
  - **برنامج الإحياء الثقافي لبناء جيل جديد قارئ.**
  - **تمنح جائزة سنوية للرواية، وتكرم مؤلفيها وقراءها.**
  - ريادة في مجال النشر الألكتروني:
  - أول موقع متجدد بالعربية لناشر عربيٍ على الإنترنت: **www.fikr.com**
  - موقع (فرات) لتجارة الكتب والبرامج الألكترونية: **www.furat.com**
  - موقع تفاعلي رائد للأطفال: عالم زمزم: **www.zamzamworld.com**
  - **إشراف مباشر على مواقع:**

    الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: **www.bouti.com**

    الدكتور وهبة الزحيلي: **www.zuhayli.com**

- **حازت على جائزة أفضل ناشر عربي للعام ٢٠٠٢، من الهيئة المصرية العامة للكتاب.**
- **نالت ثلاث جوائز من مؤسسة التقدم العلمي في الكويت، عن كتبها:**
  - **الجراحة التنظيرية؛ مينيرو-ج وآخرين، 2000م**
  - **هروبي إلى الحرية؛ علي عزت بيغوفتش2002م**
  - **موجز تاريخ الكون؛ د. هاني رزق 2003م**
- **منشوراتها:** قاربت مطلع عام 2008م (2100) عنواناً، تغطي معظم فروع المعرفة.

Criticizing the Contemporary Mind

HATRED MAKING AMONG CULTURES
& THE INFLUENCE OF ORIENTALISM IN CONTRIVING IT

Ṣinā‘at al-Karāhiyah bayna al-Thaqāfāt wa-Athar al-Istishrāq fī Ifti‘ālihā

'Alī Ibn Ibrāhīm al-Namlah

لماذا يثير المستشرقون كراهيتهم ضد الشرق عموماً و المسلمين خصوصاً؟

ما مبعث هذه الكراهية؟

كيف يصنعونها؟ ثم كيف يصدرونها؟

ما وسائلهم لصناعة تلك الكراهية؟

وهل المستشرقون كلهم على قدم واحدة؟ أم يختلف بعضهم عن بعض؟

هذا الكتاب يعالج مواقف عدد من المستشرقين من الإسلام ومن ثقافات الشرق..

ويفضح عملهم في صهينة الاستشراق، كما يتحدث عن الاستشراق والإنترنت.

إنه يقدم أفكاراً مهمة ونتائج باهرة من خلال حديثه عن مواقف المستشرقين من الثقافات والملل الشرقية ومن الإسلام وثقافته.

BEHZAD ALI ISSA 2008


ISBN 995351163-2
9 789953 511634

بسم الله الرحمن الرحيم

صناعة الكراهية بين الثقافات

وأثر الاستشراق في افتعالها

صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها /
علي بن إبراهيم النملة.- دمشـــق: دار الفكر، ٢٠٠٨
.- ١٧٦ ص؛ ١٧ سم.

١- ٣٠٣,٤ ن م ل ص ٢- ٢١٨,٨
٣- العنوان ٤- النملة ٥- السلسلة
مكتبة الأسد

نقد العقل المعاصر

أ. د. علي بن إبراهيم النملة

صناعة الكراهية بين الثقافات

وأثر الاستشراق في افتعالها





٢٠٠٨
دمشق
حاضنة اللغة العربية

دار الفكر - دمشق - برامكة
٠٠٩٦٣ ٩٤٧ ٩٧ ٣٠٠١
٠٠٩٦٣ ١١ ٣٠٠١
http://www.fikr.com/
e-mail:fikr@fikr.net

نقد العقل المعاصر

صناعة الكراهية بين الثقافات

وأثر الاستشراق في افتعالها

أ. د. علي بن إبراهيم النملة

الرقم الاصطلاحي: ٢١١١,٠١٣

الرقم الدولي: ISBN: 978-9953-511-63-4

التصنيف الموضوعي: ٣٠٣ (العمليات الاجتماعية)

١٧٦ص، ١٢ × ١٧ سم

الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م

«توجد فئة من الناس تحترف الكراهية، تزرعها وتسقيها وتنمّيها وتدعو إليها وتبشِّر بها. لقد صارت الكراهية في بعض النفوس نوعاً من العقيدة، لها جلال العقائد التي تجب حمايتها وصيانتها وإحاطتها بسياج يمنع أنْ تُمسَّ أو تناقش أو توضع موضع المساءلة والاستشكال»

د. راشد المبارك

«أخشى أن نترك الكراهية تحتكرها آلة وجماعات نشر الكراهية، فنفاجأ بأنَّ الكراهية الأمريكية للعرب والمسلمين صارت (صناعة) هائلةً مستقلةً ومغذّيةً لذاتها»

د. جميل مطر

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

المحتوى

المدخل

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله مُحَمَّد بن عبدالله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد؛

فقد ظهرت تساؤلات فكرية حول ما يسيِّر العلاقة بين الثقافات المتخالفة، ومدى إمكانية تجلية هذه الاختلافات، ومدى عمقها بحيثُ تطغى على فرص الالتقاء. وهذا يعني وجود ثقافات متخالفة ابتداءً. ويتعذَّر صهر الأمم في ثقافة واحدة، مع المحاولات غير الواقعية التي تسعى لذلك باسم العولمة الثقافية، فقد شاءت إرادة الله تعالى أنْ يكون هذا العالم أمماً وشعوباً وقبائل، كما شاءت إرادته ـ سبحانه وتعالى ـ أن يكون هناك تعارُفٌ بين الأمم، كما يكون بينها اختلاف.

من تجلية هذه الاختلافات توظيف المشاعر والأحاسيس الإنسانية التي خلقها الله تعالى في ابن آدم، وجعلها ـ سبحانه وتعالى ـ من محرِّكات حياته اليومية،

داخل ذاته وبين أهله وقومه، ومع العالم من حوله. الحبُّ والمودَّة والرحمة وغيرها من الصفات الحميدة الكثيرة، يقابلها صفات أقلّ منها غير حميدة مثل الكراهية والبغض والحقد. تقوم هذه الصفات الإنسانية بموجب مؤثِّرات تغذِّيها أو تسعى إلى كبحها. فهي في الأصل موجودة وفي نفيها مغالطات لا تتَّفق مع الطبيعة البشرية.

يرى البعض أنَّ «الكراهية شعور بالاستياء والغيظ يستحضر دوماً ردَّ فعل. وهو يخلق جملةً من المدركات المتبادلة بين الأشخاص الذين يبغضون موضوع كراهيتهم. ومن الخطورة بمكان، كما يشير التاريخ، أنْ يعتبر المرء نفسَه موضوعاً وهدفاً للبغضاء، ويخاف انقضاض كره الآخرين عليه. وهذا يعادل تماماً خطر جعل "الآخر" هدفاً للكراهية»[1].

البحث حول هذه الصفات الإنسانية يتركَّز على المدى، وليس على المفهوم نفسه، فالمفهوم راسخ في

(١) انظر: ضياء الدين سردار وميريل وين ديفيز: لماذا يكره العالم أمريكة؟/ نقله إلى العربية معين الإمام، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ص ٨٨.

النفس البشرية، والمدى هو الذي يغذَى أو يُكبح. والصفات الحميدة مطلوبٌ تغذيتها، بينما يطلب الكبح للصفات غير الحميدة، بحيث لا تخرج عن المدى الذي يمليه المتطلَّب الإنساني والثقافي.

في هذه الوقفات نقاش حول صناعة الكراهية بين الثقافات، وأثر الاستشراق الإيجابي أو السلبي في افتعالها. وهي صدىً للندوة التي أقامتها رئاسة الحرس الوطني في المهرجان الوطني للتراث والثقافة، في دورته الثانية والعشرين، سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. رأيت بدعوة المهرجان أنْ أسهمَ فيه بمحدِّد من محدِّدات العلاقات بين الثقافات في العالم المعاصر، لاسيَّما بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية التي تتكئ على خلفية دينية، معتبراً أنَّ الاستشراق القديم أو التقليدي أو الكلاسيكي والاستشراق المعاصر أو الجديد، كما يعبِّر عنه رضوان السيِّد وعبد النبي اصطيف وغيرهما[1]، أو ما يمكن أنْ يُعبَّر عنه بما بعد الاستشراق، هو أحد أبرز هذه

(١) -انظر: رضوان السيِّد: نقد الاستشراق، الاجتهاد، ع ٥٠/ ٥١ (ربيع وصيف العام ٢٠٠١/ ١٤٢٢هـ)، ص ٥ ـ ٧. وص ٣٥ ـ ٦٣.

المحدِّدات؛ بما أسهم به من جهود حسنة، وأخرى سيئة في سبيل اقتلاع جذور الكراهية بين الثقافة الإسلامية والثقافات الغربية أو ترسيخها.

يسعى هذا البحث إلى توخِّي الحذر في نقد الاستشراق الجديد، بما في ذلك الميل إلى البحث عن نقاط القوَّة، إنْ وجدت، إذ تتهاوى نقاط القوَّة التي كانت واضحةً في الاستشراق القديم أو الكلاسيكي في ضوء التوجُّه الغربي الحديث في النظرة إلى الإسلام والمسلمين، الساعي إلى عزل الإسلام ديناً عن المسلمين، ومن ثمَّ الانطلاق في اتِّهام بعض المسلمين، دون إثارة البقية لتلافي الاتِّهام الجماعي، ومن ثمَّ اتِّهام الإسلام نفسه! وفي ضوء التطوُّرات السياسية الأخيرة في المنطقة العربية خاصَّةً، أو ما يسمَّى بمنطقة الشرق الأوسط، التي يأتي ضمنها الغزو الغربي لأفغانستان ثم للعراق في مطلع سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م،[1] إذ يتجاوز هذا الغزو الآلة الحربية إلى

(١) هناك من لا ينظر للوجود الغربي في أفغانستان والعراق على أنه غزو أو احتلال، مع أنَّ الغربيين يسمُّونه كذلك! بل يرى أنه وجود مطلوب دعت إليه حكومتا هذين البلدين "الشرعيتان". =

استحضار الاستشراق القديم أو الكلاسيكي على الساحة، والسعي إلى أنْ يُعيد التاريخ نفسه في استحضار الغزو الاستعماري للعراق والمنطقة قبل قرون، فقد ظهرت حينئذٍ فكرة تهنيد العراق، وظهرت اليوم فكرة تهنيد أفغانستان، ثم أفغنة العراق،[١] وربَّما عرقنة أفغانستان، وربَّما أيضاً فتنمة العراق وأفغانستان، أخذاً في الحسبان أنَّ البلدين المغزوَّين العراق وأفغانستان، وهما بلدان مسلمان، كانا يعيشان بتأثير من الآلة الحربية و"المعلوماتية الغربية" حالاً أقلَّ ما يمكن أنْ يقال عنها إنَّها كانت حالاً غيرَ مستقرَّة، ولا يزالان كذلك بفعل الآلة الحربية الغربية التي أحضرت معها الاستشراق الجديد، لاسيَّما الاستشراق السياسي، تدعم به كما كانت الحال عليه من قبل وجودها في المنطقة.

= ويظهر أنَّ في هذا التوجُّه مغالطةً تقوم على تسويغ واقع هذا النوع من الاحتلال.

(١) انظر: فاضل الربيعي: ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧م. ص ٩ ـ ١٠.

على أنَّ عبد النبي اصطيف يرى في مصطلح (الاستشراق الجديد) مقصداً جديداً؛ ينحصر في اهتمام الشرقيين (الداخليين) وتولِّيهم «المسؤولية كاملةً في إنتاج كلِّ ما يتَّصلُ بتاريخهم ومجتمعاتهم وثقافاتهم من معرفة، وألاَّ يعتمدوا كلَّ الاعتماد، أو جلَّه، على (الآخر) ـ الغربي بشكلٍ خاصٍّ ـ في إنتاج هذه المعرفة؛ لأنَّهم عند ذلك يغامرون، إنْ لم يكونوا يقامرون، بأمنهم واستقرارهم ومستقبلهم. والأمن الحقيقي هو الأمن المعرفي، الذي يكفُلُ المعرفة، التي يحتاجُها الشرقيُّون لفهم ماضيهم واستيعاب حاضرهم وبناء مستقبلهم»[1].

ولعلَّ عبد النبي اصطيف يقرُب بالاستشراق الجديد هنا إلى ما نعبِّر عنه الآن بالالتفات إلى الذات، والاستغناء عن الآخر في هذا المجال الفكري الرحب. ومع هذا فلن يُتوقَّع أن تتمَّ هذه الدعوة إلا في مجال الإسهام المباشر بما يدعو إليه عبد النبي اصطيف، دون

(١) انظر: عبد النبي اصطيف: نحو استشراق جديد، الاجتهاد، ع ٥٠/ ٥١ (ربيع وصيف العام ٢٠٠١/ ١٤٢٢هـ). ص ٣٥ ـ ٦٣، والنصُّ من ص ٦٣.

الالتفات عن الاستشراق؛ إذ يظلُّ الاستشراق بصوره وفئاته وتصنيفاته قائماً، وجزءاً مؤثِّراً من محدِّدات العلاقة بين الشرق والغرب.

تستحقُّ هذه العلاقة منا الالتفات إليها، لا من منطلق التلاؤُم، بل من منطلق التفاهُم والتحالُف والتعارُف، دون إغفال وجود الاختلاف بين الثقافات. ومن التلاؤُم أنْ يعتقد غير المسلمين بوجود المشكلة في الإسلام، وأنْ يعتقد المسلمون بوجودها في نظرة الآخرين إلى الإسلام. «وبالتالي يرون أنَّ غير المسلمين يبحثون عن الحلِّ في المكان الخطأ، فيما يعتقد غير المسلمين أنَّ المسلمين عبثاً يبحثون عن الحلِّ خارج الذاتية الإسلامية»[1].

ربَّما كان من الالتفات إلى العلاقة بين الشرق والغرب عدم إغفال النظر إلى البُعد الجهوي على حساب البُعد الفكري، ولذلك جرى تقسيم الشرق ثلاثة أقسام؛ الأقصى والأوسط والأدنى. ويمكن قياساً على ذلك تقسيم

---

(١) انظر: محمد السمّاك: موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. ص ١٥ ـ ١٦.

الغرب، من حيث موقفه الثقافي من الشرق، ثلاثة أقسام: الغرب الأدنى؛ ويشمل روسية وتركية الأوربّية البلقان، أو أوربة الشرقية، كما كانت تسمَّى، وفيه غالبية مسلمة، والغرب الأوسط، ويشمل دول أوربَّة الغربية، ولهذا القسم نظرته الشعبية السلبية التراكمية للشرق، ونظرته المصلحية الرسمية مع الشرق، والغرب الأقصى ويشمل شمال أمريكة ووسطها وجنوبها، ولهذا القسم الثالث نظرته الشعبية الإيجابية، ونظرته الرسمية السلبية الآنية مع الشرق، وهي تختلف عن نظرة الغرب الأوسط حتَّى في طبيعة المسلمين المهاجرين إليه من حيث انتماءاتهم الجغرافية وتأهيلهم في مجتمع يقوم على التعدُّدية، فمن بين كل خمسة أطباء طبيب مسلم، وفي سانتا كلارا في كاليفورنية سبع مئة (٧٠٠) عالم كومبيوتر كلهم مسلمون.[١] ويدخل هذا التقسيم في محاولات السعي إلى فهم الغرب ثقافياً من منطلق مفهوم الاستغراب.

---

(١) انظر: صلاح عبدالرزّاق: المفكّرون الغربيون المسلمون: دوافع اعتناقهم الإسلام، ٢ ج، بيروت، دار الهادي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ٢: ٢٦٩.

الفصل الأوَّل

المنهج في نقد الاستشراق

ليس هذا مجالَ التفرقة بين الاستشراق التقليدي أو الكلاسيكي والاستشراق الجديد أو المعاصر، أو ما يعبِّر عنه بعض المفكِّرين بما بعد الاستشراق، قياساً على مصطلح ما بعد الحداثة، سوى الميل إلى أنه لا فرقَ بينهما إلا بالأدوات، فقد غيَّر الاستشراق من أدواته ولم يتغيَّر في مفهوماته[1].

سيتَّضح من سياق هذا البحث ميل الاستشراق الجديد إلى التركيز على البُعد السياسي للاستشراق، على حساب أبعاد الاستشراق الأخرى، كالبُعد الديني والعلمي، مما أكسبه سمعة غير إيجابية بين المفكِّرين

(١) انظر: فاضل الربيعي: خطاب النخبة الثقافية العربية وأساطير ما بعد الاستشراق (١)، الجزيرة الثقافية، ع ١٨٥ (١٧/ ١/ ١٤٢٨هـ/ ٥/ ٢/ ٢٠٠٧م). ص ٨.

العرب والمسلمين وبين بعض المستشرقين الآخرين، ظهرت في النبرة التي يواجه بها المنتقدون الاستشراقَ الجديد.

توجُّه الاستشراق إلى السياسة، وطغيان هذا التوجُّه على الاستشراق الجديد، يقوّي من نزوع الاستشراق إلى الإسهام في صناعة الكراهية بين الثقافات[١]، إذا أخذنا في الحسبان أنَّ السياسة هي العامل الأبرز الذي تمارَس من خلاله صناعة الكراهية بين الثقافات، وأنَّها آخر عامل يمكن أنْ يفكَّر فيه على أنه من عوامل الالتقاء بين الثقافات.

في سبيل التوكيد على ذلك يقتضي الموقف من ناقدي الاستشراق أنْ يكون البُعد السياسي حاضراً لديهم؛ من حيث وجود خلفية علمية سياسية كافية، مما يُنتج القدرة على التحليل السياسي، الأمر الذي لا يتحقَّق بالضرورة

(١) لا تخلو ثقافة ما من قدر من المحبَّة والكراهية، حتَّى أولئك الذين يتظاهرون بالسماحة والتسامُح يختزنون قدراً من الكراهية حتَّى مع المحقِّين. انظر: محمد بن حامد الأحمري: ملامح المستقبل، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ص ٢٥٣.

لغير المتخصّصين في العلوم السياسية، مهما أظهر بعض المفكّرين بمن فيهم المشتغلون بنقد الاستشراق بعض القدرات الفكرية في الخوض في الأبعاد السياسية. وهذا يصعّب من نقدِ بُعد من أبعاد الاستشراق كهذا.

فيما يظهر أنَّ كتابات السياسيين السابقين في الإدارات الحكومية الغربية المتلاحقة (نيكسون وبريجنسكي، وكيسنجر وتاتشر نماذج) لا تُعدُّ من الطروحات الاستشراقية التي تدور هذه الدراسة حولها؛ ذلك أنَّ البُعد الاستشراقي غير حاضر في كتابات هؤلاء، ولا تظهر فيها المنهجية الاستشراقية، مهما جاءت عنوانات هذه الكتب مدوّية في طريق صناعة الكراهية، ومهما كانت منزلة كاتبيها السياسية[1].

هناك بُعدٌ آخر ومهمٌ في مشروع صناعة الكراهية،

---

(١) انظر مثلاً في الردّ على نموذج من الكتابات السياسية: زغلول النجّار: الإسلام والغرب في كتابات الغربيين، القاهرة، نهضة مصر، ط٢، ٢٠٠٣م. ٢٨٣ ص. حيث يردُّ المؤلِّف على كتاب: (شعور بالحصار: السياسة بين الإسلام والغرب على أرض الواقع) لمؤلِّفيه جراهام فولّر النائب السابق لرئيس مجلس الأمن الوطني الأمريكي، وإيان ليسر.

ذلك البعد الذي يَسعى فيه بعض المفكِّرين ومنهم المستشرقون إلى صناعة الكراهية داخل الثقافة الواحدة، ولتكنْ الثقافة الإسلامية هنا مثلاً. فحينما يعمد بعض المستشرقين إلى هذا المجال فإنَّ الأمر سيكون أشدُّ وطأة، لاسيَّما إذا جعلوا في الاختلافات بين المسلمين في الفروع مجالاً رحباً للتفرقة بينهم.

وقد يكون المجال في اللغة كذلك حينما يعمد بعض المستشرقين من منطلقات سياسية استعمارية ثمَّ أنثروبولوجية وفيلولوجية وعرقية وقبلية إلى إعادة استخدام لغات محلِّية، تنمُّ عن بُعد قومي يسهم في وجود هذه الفجوة في الثقافة الواحدة، مثل ما حصل ويحصل الآن في أقاليم هي ثقافياً مسلمة، لكنَّها لغوياً لم تكن تتحدَّث اللغة العربية، التي هي لغة الثقافة الإسلامية، كالمنطقة الكردية في الشرق الإسلامي، والمنطقة الأمازيغية في الغرب الإسلامي. ثمَّ يقود هذا إلى التعمق في اللغة نفسها الكردية أو الأمازيغية أو العربية وإيجاد الاختلافات داخلها.[١]

---

(١) انظر: عبدالكريم غلاَّب: العرض التمهيدي، ص ١٧ ـ ٣٦، =

هذا موضوع يحتاج إلى بحث خاص يبيِّن فيه مدى إسهام المستشرقين في صناعة الكراهية داخل الثقافة الواحدة. يستنتج عبد الكريم غلاَّب أنَّ كثيراً «من المستشرقين يعتبرون أنَّ الإسلام في المغرب له طابعٌ خاصٌّ، كما يعتبر زملاؤهم الذين تخصَّصوا في الدراسات الإسلامية بالمشرق الإسلامي أنَّ الإسلام في كلٍّ من هذه البلاد يختلف عن الإسلام في البلاد الأخرى؛ لأنَّ كلَّ قطر إسلامي يمنح الإسلام بعضاً من معتقداته القديمة وتقاليده الاجتماعية التي ترتقي إلى درجة العقيدة، وبعض الأساطير التي تخلَّفت من الماضي فحسبها المسلمون من الإسلام حتَّى إنَّ أحدهم كتب عن آثار الوثنية في الإسلام».[1]

ومع أنَّ هذا بحث مطروق ويكاد يطغى على عدد كبير من الدراسات النقدية للاستشراق، إلا أنَّه يحتاج إلى

= في: المغرب في الدراسات الاستشراقية، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٥م. ٢٢٩ ص.

(١) انظر: عبدالكريم غلاَّب، العرض التمهيدي، ص ١٧ ـ ٣٦. والنصُّ من ص ٢٤، في: المغرب في الدراسات الاستشراقية، المرجع السابق، ٢٢٩ ص.

تركيز أكثرَ في مدى الإسهام الاستشراقي في صناعة الكراهية، ليس من منطلق وضع الفرضية ثمَّ البحث عن مؤيِّداتها، كما هي الحال في بعض دراسات نقد الاستشراق، ولكن من منطلق تحليل الواقع الاستشراقي في مجال صناعة الكراهية وصولاً إلى الحقِّ بالموضوعية العلمية المطلوبة والمتوقَّعة. وهذا يعني أنْ يكون هناك احتمال وجود طرفين متناقضين بين المستشرقين؛ أحدهما يعمل على التجسير بين الثقافات، والآخر يعمل على افتعال الكراهية بين الثقافات.

الدارس المتعالي

لا بُدَّ من التوكيد على أنَّ النبرةَ العامَّة لدى كثير من الباحثين العرب والمسلمين لنقد الاستشراق تتركَّز في أنَّه ظاهرةٌ لم تكُن إيجابيَّةً في انطلاقتها مع التراث العربي الإسلامي، وأنَّ هذه النبرة التي توارثها رهطٌ من الكُتَّاب العرب والمسلمين المعنيين بالثقافة الإسلامية لم تكن في مجملها موضوعيةً في حكمها على الاستشراق، ممَّا ولَّد جدلاً حول مدى الخدمات الجليلة التي قدَّمها الاستشراق للتراث الإسلامي والثقافة الإسلامية، في

مقابل تلك الخدمات التي خدم بها الاستشراق المصالحَ الغربية الدينية والاستعمارية والسياسية والاجتماعية، وكون الاستشراق في مجمله عوناً على بسط الهيمنة الغربية بأشكالها المختلفة على العالم الآخر غير الغربي، بما فيه العالم الإسلامي، فجاء معظم إنتاجه المعرفي متَّسماً بالتعالي على المدروسين، وإشعار هؤلاء المدروسين بلهجة الرقي والتفوُّق الذهني عليهم.

إنه ذلك الشعور الوسواسي، الواعي أو غير الواعي، بالتفوُّق والميل إلى الهيمنة، وكما يقول محمد الدعمي: «لقد عبَّر هذا الموقف الغربي الفوقي عن نظرة دونية للماضي العربي الإسلامي من خلال الشعور بحرية استثمار تاريخنا، ليس لخدمة العرب والمسلمين، بل لمباشرة مشاكل غربية وللاستجابة لمعضلات محلية لا تمُتُّ بأيَّة صلة للعرب أو للإسلام. وبهذا صادر الفكر الاستشراقي تاريخنا، تاريخ (الآخر)، لصالح ثقافته وحضارته، مؤسِّساً هذا الموقف المتعالي على شعور قويٍّ بأنَّ التاريخ إنَّما يتطوَّر على نحو خيطي وخطِّي، حيث تدفع حضارات وخبرات جميع الأمم الذروة

النهائية لتاريخ العالم. تلك الذروة المتمثّلة في الحضارة الغربية»[١].

وفي تعليق لأحمد رمزي يقول فيه: «كان للمستشرقين عموماً عقدة التعالي المنبثقة عن انتمائهم إلى الحضارة الأوربّية المتقدّمة في رأيهم بقيمها وقوّتها الماديّة. وكان الجوُّ العامُّ هو أنَّ لأوربَّة رسالة حضارية يجب أنْ تبثَّها بين الشعوب (المتخلِّفة). وكانت الغلبة للمستشرقين، نظراً لتمكُّنهم من العلوم الحديثة كعلم الاجتماع والأنتربولوجيا، واللغات الشرقية، والتاريخ المقارن، إلى غير ذلك من العلوم العقلية»[٢].

الإشكالية التي يثيرها نصُّ أحمد رمزي هذا هي أنْ تكون عقدة التفوُّق تجاه الآخر غير الأوربّي متجذِّرةً في

---

(١) انظر: كوامن الرغبة في تأنيث الشرق، ص ٢١٣ ـ ٢١٤، في: مُحَمَّد الدعمي .الاستشراق: الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦م. ٢٤٦ ص.

(٢) انظر: أحمد رمزي: تعليق، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٣ .في: المغرب في الدراسات الاستشراقية.، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٥م. ٢٢٩ ص.

العقلية الأوربّية، لاسيَّما لدى الرجل الأبيض الذي يرى غير البيض يعيشون معه جغرافياً وفي الرقعة الشمالية نفسها، لكنه لا يراهم شيئاً، سوى أنَّهم جاؤوا لخدمته، كما يقول تييري هنتش: «ليست النزعة العرقية نقيصةً بالإمكان التخلُّص منها، ولا هي بخطيئة يتوجَّب التطهُّر منها بطلب الغفران. إنَّها الشرط عينه الذي يحكُم نظرنا إلى الآخر»[1].

يؤيِّده سمير قصير في هذا المنحى في الاستمرار في النظرة المتعالية من الدارس للمدروس حتى مع ظهور الاستشراق الجديد، حيث يقول: «أنا أدرك بالطبع، مثلما لاحظ شتفان رايشموت، ألا تكون خيارات المستشرقين السياسية متَّصلة بالضرورة مع موضوعات دراساتهم، وأنْ يكونوا من اليسار أو اليمين ضمن مجتمعاتهم الخاصَّة. لكن ما أفهمه بصعوبة هو أنْ يستطيعوا الادّعاء بأنهم متخصّصون في الشؤون الشرقية

---

(١) انظر: تييري هنتش: الشرق المتخيَّل: رؤية الغرب إلى الشرق المتوسِّطي/ ترجمة غازي برُّو وخليل أحمد خليل، بيروت، دار الفارابي، ٢٠٠٤م. ص ١٧.

وهم ينطلقون، اليوم في عام (٢٠٠٤م) من عقدة بالتفوُّق إزاء الآخر الذي يقاربونه على أنه شيء. وسيكون هذا تأكيداً أنَّ الاستشراق استحواذٌ هدفه الهيمنة على الآخر. فنحن جميعاً نعرف مستشرقين من هذا الطراز، وهم لا يمثِّلون إلا أقلية لحسن الحظ. لكنَّهم لسوء الحظ أكثر من يُستمع إليهم؛ لأنهم يتدخَّلون ربَّما أكثر من غيرهم في نقاش المجتمع»[1].

يؤكِّد مصطفى النيفر هذا التوجُّه أيضاً بقوله: «حفلت الكتابات (العلمية) الاستشراقية بالصور النمطية عن الإنسان الشرقي، كما يتوقَّعه الغرب، أو كما يريده أنْ يكون. أراد الاستشراق، بكلِّ تيَّاراته وممثِّليه، أنْ يكون الدارسَ المترفِّعَ المتعالي المنكبَّ على دراسة الشرقي انكبابه على أيِّ موضوع بيولوجي أو فيزيائي. ولذلك لم يوجد (استغراب) يدرس من خلاله الشرقي دارسه

(١) انظر: سمير قصير: تعليق/ ترجمة محمد صبح، ص ١٠٧ - ١١٣. والنصُّ من ص ١١١ في: يوسف كرباج ومنفرد كروب، مشرفان: تأمُّلات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضره/ ترجمة عدنان حسن ومُحَمَّد صبح، بيروت، قدمس، ٢٠٠٦م. ١٤٠ ص.

الغربي. ولأنَّ الطرفين غير متكافئين لم يكن ذلك بالوارد على خاطر مجتمع غربي يعتبر كلَّ الوجود (بما فيه الإنسان الآخر) موضوعاً لمعرفته العلمية، وبالتالي لسيطرته»[١].

يؤيِّد هذا التوجُّه مقولة إدوارد سعيد في أنَّ الغرب يتخيَّل الشرق كما يريده أنْ يكون، فيرسم عنه صورةً من مخيِّلته، ويبني على هذه الصورة نظرته فحكمه على هذا العالم الساحر[٢].

السحر والقابلية

ربَّما يتحقَّق هذا النوع من السحر في النظرة إلى التراث وما شابه من إلصاقات لم تكن واقعية، ومن ثمَّ لم تكُن حقيقية، ولكنَّها مبثوثة في بعض كتب التراث العربي الإسلامي، لاسيَّما التراث الأدبي وبعض التراث

---

(١) انظر: مصطفى النيفر: الأمير في دولة القراصنة: رحلة الأمير لودفيغ هيرمان فون بوكلير ـ موسكا إلى تونس (١٨٣٥)، الاجتهاد، ع ٥٠/ ٥١ (ربيع وصيف العام ٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ)، ص ٦٥ ـ ١١٦. والنصُّ من ص ٦٦ ـ ٦٧.

(٢) انظر: إدوارد سعيد: الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق/ ترجمة مُحَمَّد عناني، القاهرة، رؤية، ٢٠٠٦م. ص ١٩.

التاريخي، ممّا جعل بعض المستشرقين "يتصيّدون" هذا السحر الشرقي، فيبنون عليه صورتهم المتخيَّلة عن الشرق[١]؛ (ألف ليلة وليلة، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والروض العاطر في نزهة الخاطر نماذج)، ذلك لأنَّ النظرة إلى الشرق العربي والإسلامي لن تكون منهجية وواقعية ومكتملة ما لم تتمثَّل هذه الصورة عن العرب والمسلمين في الغرب، والأثر الخطير الذي مارسه الاستشراق في تشكيل قوالب وأنماط ذهنية ـ فكرية ونفسية لدى الغربيين تجاه العرب والمسلمين[٢]، مما أعان في رأي خلف الجراد على صناعة الكراهية بين الغرب والشرق المتخيَّل.

تتكرَّر الصورة النمطية مع الاستشراق الجديد، لكنَّها

(١) انظر: كوامن الرغبة في تأنيث الشرق، ص ٨٥ ـ ١٠٨، في: مُحَمَّد الدعمي: الاستشراق: الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي.، مرجع سابق. ٢٤٦ ص.

(٢) انظر: خلف الجراد: أبعاد الاستهداف الأميركي، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. ٢٤٨ ص. ويفرد خلف الجراد الفصل الثاني من كتابه هذا عن (الاستشراق وصناعة الكراهية)، ص ٦٧ ـ ١١٤.

تختلف هنا من حيث التخلّي عن تلك الصور التقليدية للعربي القديم التي صوَّرها الرحَّالة المستشرقون، (البربري المتوحّش راكب الجمل وساكن الخيام وكثير الحريم) إلى صورة الشباب المسلم ذوي اللحى الطويلة غير المهذَّبة، واللباس القصير، والنساء المحجَّبات، المتعطّشين للبطش، وما يكتنف ذلك كلَّه من نزوع إلى صناعة العنف والإرهاب.[1] وبهذا يجعل الاستشراق من المسلمين جماعة يتعذَّر فهمها، لكن يمكن توقُّع فعلها[2].

هي حملةٌ قديمةٌ تتجدَّد، وتتضافر فيها جهود مختلفة؛ من تنصير واستشراق واستعمار وهيمنة وعلمانية موجَّهة[3]. ومع هذا فقد تعرَّض المستشرقون الأمريكيون خاصَّةً، عدا المستشرق برنارد لويس «للإدانة من قبل

---

(١) انظر: فاضل الربيعي: ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء، مرجع سابق، ص ١٥ ـ ١٧.

(٢) انظر: ضياء الدين سردار وميريل وين ديفيز: لماذا يكره العالم أمريكة؟، مرجع سابق. ص ١١٤.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة: ظاهرة الاستشراق: دراسة في المفهوم والارتباطات، الرياض، مكتبة التوبة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ص ٨٥ ـ ٨٨.

الجمهوريين المحافظين المؤيِّدين لسياسة دعم زائدٍ لإسرائيل»، كما يقول المستشرق الفرنسي أوليفييه روا[١].

كان هناك سعيٌ إلى إقصاء المستشرقين عن السياسة من قبل. وتجدَّد هذا المشروع في عشر السنوات المنصرمة، مما ينظر إليه على أنه تكريس لانتصار اللااستشراقيين لمصلحة القريبين من (أيباك) AIPAC أي اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة[٢]. يقول داني رونشتاين: «في الماضي كان المستشرقون الأوربّيون المسيحيون هم الذين يزوِّدون الثقافة الأوربّية بالحجج اللازمة لاستعمار الإسلام وقهره، ولقهر اليهود أيضاً وتحضيرهم. أمَّا اليوم فإنَّ الحركة اليهودية هي التي تنتج

---

(١) انظر: أوليفييه روا: أوهام ١١ أيلول: المناظرة الاستراتيجية في مواجهة الإرهاب، بيروت، دار الفارابي، ٢٠٠٣م. ص ٩٩.

(٢) انظر: أوليفييه روا: أوهام ١١ أيلول: المناظرة الاستراتيجية في مواجهة الإرهاب، المرجع السابق. ص ١٠٠ ـ ١٠٣. وتعود جذور أيباك إلى سنة ١٩٥١م عندما قرَّر أشعياء كفن عضو المجلس الصهيوني الأمريكي بالتشاور مع بعض زعماء اليهود الصهاينة تكوين دهلزة (لوبي) صهيوني لدعم الوجود اليهودي في فلسطين المحتلّة، فتكوَّنت اللجنة سنة ١٩٥٤م، انظر: خلف الجراد: أبعاد الاستهداف الأميركي، مرجع سابق، ص ١٣١.

جهاز المسؤولين الاستعماريين، وطروحات اليهود الإيديولوجية عن الذهن الإسلامي أو العربي، هي التي تطبَّق في إدارة العرب والمسلمين، الأقلية المقهورة ضمن الديموقراطية الأوربّية البيضاء، التي تدعى (إسرائيل)[١].

كما كانت القابلية للاستعمار من قبل؛ تلك التي نظَّر لها المفكِّر المسلم مالك بن نبِي رحمه الله تعالى[٢]، تأتي القابلية للاتِّهام بالعنف والإرهاب الآن. ومن هنا يتساءل المرء عند طرح مفهوم القابلية هذه، هل يمكن أنْ يحقِّق أبناء الأمّة دون قصد مباشر منهم ما يصبو إليه أعداؤها؟

(١) انظر: إبراهيم محمد جواد: الصراع بين الغرب والإسلام: من يفجِّره؟ ولماذا؟، مرجع سابق، ص ٦٨.

(٢) في مفهوم القابلية للاستعمار انظر كتابات مالك بن نبي، لاسيَّما إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، وشروط النهضة. وانظر أيضاً: إبراهيم رضا: مالك بن نبي وفلسفة الحضارة الإسلامية الحديثة، ثقافتنا، مج ١ /ع ٢ (شتاء ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ١٨٥ ـ ١٩٦. وانظر، كذلك: حازم علي ماهر: مالك بن نبي، المسلم المعاصر، مج ٣٠ /ع ١١٨ (رجب، شعبان، رمضان ١٤٢٦هـ ـ أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر ٢٠٠٥م). ص ١٦٣ ـ ١٨٩.

هذا تساؤل ليست الإجابة عنه بالإيجاب يسيرة؛ لأنَّ الإجابة بالإيجاب سوف تقلب الموازين، وتصيب بالصدمة أولئك الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعاً من دعاة الإصلاح السياسي والاجتماعي من منطلق متطرِّف إلى إحدى الجهتين، أقصى اليمين أو أقصى اليسار، وليس من منطلق ليبرالي[١]، أو من منطلق علماني فحسب، كما يتبادر إلى الذهن. ولذلك يتردَّد أنَّ بعض هذه الفئات المتطرِّفة هي صنيعة العدوِّ صناعةً مباشرة أو غير مباشرة، أو أنها تمثِّل العدوَّ في تنفيذ إملاءاته، مع أنَّ هذا اتِّهام في ظاهره مجحف؛ إذ إنه ليس من السهل الإسراع في إلصاق هذه الإطلاقات على من بدت منهم رغبة في التفكير فيها، على امتهان المصطلحات في وقتنا

(١) شدَّد فاضل الربيعي على أثر اللبراليين العرب في الإسهام في صناعة الكراهية بين الثقافات من خلال الاستشراق وتبنِّي الأفكار الاستشراقية الجديدة في تأجيج الوضع في المنطقة، لاسيَّما في العراق اليوم. انظر: أوهام النخبة: إخفاق الليبراليات الجديدة، ص ١٣٥ ـ ١٨٧، في: فاضل الربيعي: ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء، مرجع سابق، ٣٠٤ ص.

الحاضر، حتّى أولئك الذين يلصقون أنفسهم بالليبرالية أو العلمانية، أو ربّما أُلصقت بهم، لا يظهر أنهم يدركون تماماً مدلول المصطلح، وربّما كانوا أقربَ إلى الاعتدال والوسطية الدينية، أو ربّما كانوا أقربَ إلى أنْ تنطبق عليهم إطلاقات شرعية توحي بالتقصير في الفهم منهم إلى الليبرالية أو العلمانية. ولذلك قد لا يصدق الإطلاق المركّب الذي يستخدمه هشام شرابي: العلماني المسلم أو المسلم العلماني[١]. وما يطلقه جورج طرابيشي من بذور العلمانية في الإسلام في البعد السياسي خاصّة[٢].

---

(١) يفرّق هشام شرابي بين العلماني المسلم والعلماني غير المسلم في المجتمع العربي، ويذكر أمثلةً للعلمانيين المسلمين يصعب النظر إليهم على أنهم كانوا كذلك. انظر: بروز العلمانيين المسلمين، ص ١٧٩ ـ ٢١١، في: هشام شرابي: المثقّفون العرب والغرب: عصر النهضة ١٨٧٥ ـ ١٩١٤، بيروت، المؤلّف، ط٥، ١٩٩٩م. ص ٢٧٦.

(٢) يذكر جورج طرابيشي أن الذي اغتال فرج فودة عندما سأله القاضي: وما معنى علماني؟ أجاب: لا أعرف. انظر: جورج طرابيشي: بذور للعلمانية في الإسلام، ص ١٩ ـ ٣٨، في: جورج طرابيشي: هرطقات عن الديموقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٦م. ٢٢٩ ص.

يمكن أنْ يقارن أثر الرحَّالة المسلمين في أوربَّة، رحلة ابن فضلان مثلاً[١]، بالرحَّالة المستشرقين إلى الحواضر الإسلامية؛ للتعرُّف على مدى النظرة إلى الثقافات الأخرى بين الفريقين، مما يحتاج معه إلى دراسة مقارنة، لا يتَّسع لها مقام هذه الوقفات[٢].

لا تنزع هذه الوقفات إلى التعريج على البُعد الإعلامي في ترسيخ الصور النمطية، مع أهمية الإعلام في هذا المسار، فهذا موضوع متشعِّب ومطروق بقوَّة في المراجع العربية والمعرَّبة، إلا أنَّه يمكن القول إنَّ الإعلام في رحلته هذه يُعَدُّ عالة على الاستشراق الجديد، كما سيأتي بيانه.

(١) انظر: شمس الدين الكيلاني: صورة أوربَّة في رحلة ابن فضلان: بلاد الخزر والبلغار والروس والاسكندنافيين، التسامُح، ع ٩ (شتاء ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص ٢٤٨ ـ ٢٨١.

(٢) انظر: شمس الدين الكيلاني: شغف الرحَّالة العرب بالتعرُّف على أوربَّة: التعارف سبيلاً للحوار، ص ١٤٢ ـ ١٦٧، في: زكي الميلاد، معدّ: تعارُف الحضارات، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. ٢٢٦ ص.

وشاح الموضوعية

من السهل على الباحث والمفكّر حتّى لا يُتّهم في انتمائه لثقافته، أنْ يركب موجة الهجاء التي يواجهها الاستشراق، فيسهم في صناعة كراهية الاستشراق والمستشرقين، ومن ثمَّ يسلم من الاتّهامات السريعة في فكره وانتمائه، لأنَّه تبيَّن أنَّ هجاء الاستشراق مركبٌ سهل، وهو النمط السائد للكتابة عن الاستشراق بين كثير من المفكِّرين العرب والمسلمين، لاسيَّما غير المتخصِّصين في الدراسات الاستشراقية.

ولكنَّ هذه الموجة، وهذا المركب لا يخدمان الثقافة الإسلامية في مجال انتشارها في البيئة الغربية التي نشأ بها المستشرقون، وفي مجال نشر الثقافة الإسلامية في الغرب وفي غيره، هذه الثقافة التي نعتقد أنَّ العالم يظلُّ بحاجة إليها. ذلك أنَّ ردَّ الفعل الاستشراقي تجاه هذه المواقف السلبية يكون سلبياً ويوصد الباب أمام بحوث متجرِّدة عن الهوى، تكون مستقلَّة عن أيِّ نوازع دينية أو سياسية أو استعمارية.

لا يعني هذا الموقف المتوشّح بالموضوعية التغاضي عن المآخذ على الاستشراق؛ لأنَّها مآخذ يصعبُ

التغاضي عنها وتقتضيها النظرة الموضوعية، دون الدخول في تسويغ مواقف استشراقية غير إيجابية لا تحتمل التسويغ. ووقف عندها بعض المستشرقين أنفسهم فعابوا على بني جلدتهم مواقفَهم غيرَ البنَّاءة تجاه الشرق، مما يدخل في مفهوم النقد الذاتي للاستشراق، كما سيأتي البحث فيه.

ليس المراد من هذه النظرة الموضوعية كذلك تجاهُل نصوص من القرآن الكريم والسنَّة الشريفة، هي صريحة في تحديد العلاقات العامَّة المبدئية بين الثقافات، تلك العلاقات التي تؤيِّد وجود فروقات، ومن ثمَّ يتبيَّن تعذُّر النظرة المثالية للالتقاء والتقارُب التامِّ بين هذه الثقافات. فالقرآن الكريم واضح في عدم رضى اليهود والنصارى رضىً تامّاً عن المسلمين حتَّى يتَّبع المسلمون الملَّة اليهودية أو النصرانية ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ٢/ ١٢٠].

والقرآن الكريم واضح أيضاً في وجود عداوات بين

اليهود والنصارى من جهة وبين المسلمين من جهة ثانية، ولكنَّها في الوقت نفسه مع أنها عداوة شديدة إلا أنَّها متفاوتة في الشدَّة. ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [المائدة: ٥/ ٨٢].

ينطلق النقاش هنا من هذه المسلَّمات في وجود هذه الفروقات، التي لا تتعارض تعارُضاً قطعيّاً مع إمكانات اللقاء في ضوء هذه المسلَّمات والتعايُش بالقبول وليس بالضرورة بالرضا، على اعتبار أنَّ هناك فرقاً بين القبول والرضا. ويقتضي الموقف هنا، وفي كلِّ مناسبة، أخذ النصوص الشرعية بسياقاتها، ومع جهود علماء المسلمين في ربط نصوص التشريع بعضها مع بعض، ومقابلة بعضها مع بعضها الآخر، بما في ذلك مفهوم الولاء والبراء.(١)

---

(١) انظر في مناقشة مفهوم الولاء والبراء من منطلق علمي/ شرعي: مُحَمَّد بن سعيد بن سالم القحطاني: الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، الرياض، دار طيبة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ٤٧٦ ص.

إنَّما المراد هنا هو توخِّي الحذر في إطلاق الأحكام، والعزوف عن التعميم فيها، إذ يضارُّ رهطٌ من العلماء المستشرقين، الذين كانت لهم أيادٍ تُذكر في سبيل خدمة التراث الإسلامي، وتقديم الثقافة الإسلامية للآخر، مع وقوع بعضهم في أخطاء علمية، فرضها عليهم عدمُ انتمائهم إلى ثقافة يتحدَّثون عنها ويبحثون فيها، وجهلُ بعضهم باللغة العربية، التي جاءت بها هذه الثقافة.

يتَّفق هذا الباحث مع أستاذه السيِّد محمد الشاهد في بُعد كثير من الأبحاث العربية عن الموضوعية وتصيُّد السلبيات الاستشراقية وتضخيمها، وإذا ما تمَّ العثور على بعض الإيجابيات يُحطُّ من قدرها وقيمتها العلمية، ويُساء القصد في أصحابها، ويُقذف كلُّ من يحاول إعطاءها قدرها بشبهة التعاطُف والتحيُّز والتعاون مع المستشرقين. وقد يصل الحماس ببعضهم إلى رمي هذا المتعاطف المتحيِّز المتعاون في عقيدته، والتشكيك فيه وفيها[١]!

(١) انظر: السيد مُحَمَّد الشاهد: الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، الاجتهاد، ع ٢٢ (شتاء العام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ص ١٩١ ـ ٢١١.

«وكيف ما كان الأمر فعلينا أنْ نتعامل مع الاستشراق فلا نرفضه كله ولا نقبله كله، بل هو حالات نتعامل معها. فإذا كان المستشرق منصفاً أو أتى بجديد أنصفناه، وإذا كان مغرضاً مزوّراً متحاملاً رددنا عليه وصحّحناه. كلُّ ذلك بجوٍّ علميٍّ موضوعيٍّ يكون المقياس فيه الحقيقة العلمية والنزاهة الفكرية».[١]

ومع أن هذه النظرة التي تتوخّى الموضوعية في الحكم، إلاَّ أنَّ عبد النبي اصطيف، وهو ممَّن يُتوقَّع منه الإنصاف للاستشراق، لا يملك أنْ يُغفلَ ما كان للاستشراق من آثار سلبية؛ لكونه «منتَجاً ثقافيّاً إنسانيّاً محكوماً بظروف المواجهة بين منتجها (الغرب) وموضوعها (الشرق)، وبمواقف طرفي هذه المواجهة، وأهوائهم، وأفكارهم المسبَّقة كلٌّ على الآخر، ومصالحهم الدنيوية في عالمٍ تحفِّزه المصالح أكثر ممَّا تحفِّزه القيم والمبادئ»[٢].

(١) انظر: أحمد رمزي: تعليق، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٣، في: المغرب في الدراسات الاستشراقية.، مرجع سابق، ٢٢٩ ص.

(٢) انظر: عبد النبي اصطيف: نحو استشراق جديد، الاجتهاد، ع =

على أنَّه من المؤكَّد فيما يتعلَّق بتغليب المصالح، وفي ضوء الأحداث المنعكسة على المنطقة العربية والإسلامية (يوم الثلاثاء ٢٢/٦/١٤٢٢هـ الموافق ١١/٩/٢٠٠١م) غلبة مسألة الأفكار والاعتقادات والقيم والمبادئ المكنونة على المصالح الآنية، ممَّا يعني أنَّ المصالح ليست، بالضرورة، هي وحدها - كما هو الاعتقاد السائد - التي تسيِّر العلاقات دائماً بين الشرق والغرب، لاسيَّما الغرب الأقصى في وقتنا هذا[1].

النقد العلمي

أضحى نقد الاستشراق اليوم يخضع للمنهجية العلمية، التي تقتضي قدراً من التخصُّص، أو على أقل مطلب علمي، تقتضي الشمولية في الاطلاع على مشارب الاستشراق وفئاته ومدارسه وأطواره، إذ إنَّه يُعَدُّ الآنَ من أوسع الموضوعات الثقافية والفكرية التي تتعرَّض للنقد

= ٥٠/٥١ (ربيع وصيف العام ٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ)، ص ٣٥ ـ ٦٣. والنصُّ من ص ٦٢.

(١) انظر: غريس هالسل: يد الله: لماذا تضحِّي الولايات المتَّحدة بمصالحها من أجل إسرائيل؟/ ترجمة مُحَمَّد السمَّاك، القاهرة، دار الشروق، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. ص ١٣ ـ ٣٣.

العام، كما أنَّه يكثر منتقدوه نقداً فكريّاً عامّاً، بدوافع لا يُشكُّ في مقاصدها وإخلاصها، إلاَّ أنَّه مع سلامة المقصد والإخلاص فيه لا بُدَّ من الصواب في النقد[1].

ولا تكفي النظرة التبسيطية الاتّهامية. يقول الكاتب سمير عطا الله: «وللأسف فإنَّ؟النظرة إلى هؤلاء ظلَّت تشكيكية حذرة، وغالباً تبسيطية اتّهامية، لا تصدِّق أنَّ لها في؟الغرب أصدقاء، بل أعداء دائمين. أعتقد أنَّ هذا الموقف من الاستشراق ألحق ضرراً؟واضحاً بعملية لا تخفى بعض فوائدها في الأعمال البحثية، فقد تراجع كثيرون عن؟الانخراط في هذا العلم، الذي لا غنى لنا عنه، وتوقَّفت جامعات كثيرة عن متابعة دراستها؟العلمية في التاريخ والتراث وحتى الآداب، خوفاً من التُّهم»[2].

لسنا نحن - العرب والمسلمين - من نريد

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة: مراجعات في نقد الاستشراق: الاستشراق والإسلام، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع ٣ (ربيع الآخر ١٤٢٨هـ). ص ١٣ ـ ٤٤.

(٢) انظر: سمير عطا الله: الشرق الأوسط، (٢٨/ ١/ ١٤٢٨هـ ـ ٩/ ١/ ٢٠٠٧م). الصفحة الأخيرة.

للاستشراق أنْ يتوقَّف بهذه الصورة العازفة عن خدمة الثقافة الإسلامية. ولا يظهر أنَّه سيتوقَّف بصورة حادَّة، ولكنه كما هو الآن طفق يبحث عن مسارات يسهم من خلالها في دراسة الشرق، فيستمرُّ في خدمة أغراضه التي لم تُستنفد بعد، بل هي في نموٍّ، بنموٍّ ما تمرُّ به المنطقة العربية والإسلامية من أحداث متتالية ذات علاقة متنوِّعة المشارب بالمصالح الغربية.

يقول فاضل الربيعي: «لقد انتهت الوظائف التاريخية للاستشراق القديم مع نهاية الاستعمار وبزوغ فجر الاستقلالات الوطنية في العالم الثالث. ولنقل بكلام أنسب: إنَّ هذه الوظائف استنفدت أغراضها الأصلية بعد أنْ تراخت أهداف الاستشراق مع زوال العصر الذي ولد فيه. ثم إنَّ حلولَه وأفكارَه فقدت أيَّة قيمة علمية لها، وربما تكون علميتها قد تلاشت كلِّيّاً مع تلاشي الأسس التي قام عليها الاستعمار القديم في الشرق.

ومع ذلك؛ فمن المؤكَّد أنَّ الحلول والتصوُّرات الزائفة والمرائية التي ابتكرها الاستشراق الماضي (للشرق العظيم) قد تبدَّدت هي الأخرى، ولكن ومع

عودة الاستعمار القديم أو ما بات يعرف اليوم بالاستعمار الجديد، بدأ علمٌ زائف وجديد يطلُّ برأسه على الوطن العربي»[(١)].

نقد الاستشراق بهذه الصورة الموضوعية أدّى ويؤدّي إلى إعادة نظر بعض المستشرقين في مواقف أسلافهم من الإسلام، وأنْ يعيدوا تقويم أعمالهم، فنزع جمع منهم إلى التخفيف من اللهجة العدائية للإسلام والمسلمين، بتوظيف الموضوعية أكثر من ذي قبل، مما يعين على تجسير الفجوة بين الشرق والغرب، التي أسهم في صنعها رهطٌ من المستشرقين الأوائل ومن ثمَّ السعي إلى تجسير الفجوة في مشروع صناعة الكراهية بين الثقافات[(٢)].

لن يستغني الغرب عن الشرق ولن يستغني الشرق عن الغرب. ومن ثمَّ ستزداد الدراسات الاستشراقية، وإنْ بمصطلحات مختلفة، وسيزداد منتقدو الاستشراق كثرةً، من منطلقات مختلفة، منها العلمي ومنها الفكري، ومنها

(١) انظر: فاضل الربيعي: ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء، مرجع سابق، ص ٩ ـ ١٠.

(٢) انظر: صلاح عبدالرزّاق: المفكّرون الغربيون المسلمون: دوافع اعتناقهم الإسلام، مرجع سابق، ٢: ٢٧٢.

ذو المنطلق الديني ومنها ذو المنطلق القومي، ومنها ذو المنطلق اليساري على الرغم من خفوت النظرة اليسارية على المستوى السياسي، وهكذا.

الثقة بالاستشراق

تأتي كثرة المنتقدين للاستشراق لما يعيشه العالم الإسلامي - ومنه العالم العربي - من حالة اهتزاز الثقة بنقد الاستشراق، من حيث كونُه عاملاً من عوامل الاتِّصال الإيجابي مع الثقافات الأخرى، ذلك أنَّه يندرُ المتخصِّصون في نقد الاستشراق تخصُّصاً مباشراً، وتندر فيه مراكز الدراسات والبحث العلمي على المستويين العربي والإسلامي، في الوقت الذي تزداد فيه مراكز الدراسات الاستشراقية في الغرب والشرق الأقصى، وإنْ تسمَّت بأسماء أخرى غير الاستشراق، وإنْ تخلَّت في بعضها عن خدمة التراث العربي الإسلامي بنشره ودراسته وتحقيقه وترجمته، واتَّجهت إلى الاستشراق السياسي ذي الرواج هذه الأيام[١].

---

(١) انظر: مُحَمَّد فتح الله الزيادي: قراءات في مناشير استشراقية: دراسة في الاستشراق السياسي، مستقبل العالم الإسلامي، ع ٤ (١٩٩١م). ص ٢٠١ـ ٢٢٤.

ندرة المتخصِّصين في نقد الاستشراق من العرب والمسلمين وندرة وجود مراكز نقد الاستشراق والمستشرقين على المستويين العربي والإسلامي كان لهما أثرهما في أنْ يُتولَّى نقدُ الاستشراق من منطلقات عاطفية، هدفها نبيل وهو الذود عن هذا الدين الحنيف والثقافة العربية والإسلامية التي استمدَّت مقوِّماتها من هذا الدين، دون إغفال الإفادة من الثقافات الأخرى، السابقة والمعاصرة. لكنَّ هذه العاطفة التي طغت على هذا الطرح أوقعت بعض المنتقدين بمزالقَ علمية من خلال الدخول فيما يسمِّيه رضوان السيِّد بإيديولوجيا العداء للاستشراق الذي لا يمثِّل المنهج التخصُّصي في نقد الاستشراق. فكانت صناعة كراهية الاستشراق.

تُستحضر هنا تلك العبارة المناسبة لهذا المقام، عن أحد المعنيِّين المباشرين بظاهرة الاستشراق؛ أستاذي في الاستشراق السيِّد محمد الشاهد، حيث يقول: «كثُر الحديث في العقدين الأخيرين من هذا القرن العشرين عمَّا يسمَّى في بلادنا ظاهرة الاستشراق، شارك فيه المتخصِّص وغير المتخصِّص، من يعرف لغات

الاستشراق ومن لا يعرفها، فجاء معظم الحديث نقولاً عن نقول أُخذت عن ترجمات فيها الصواب والخطأ، وأصبح ميدان الاستشراق - أو كاد - حلاً لمن أراد التأليف السريع لا يتطلّب من طالبه سوى جمع بعض ما سبق، وتوليفه وتزيينه بعناوين جذّابة ترضي ذوق متوسّطي الثقافة»[١].

لو سأل أحدٌ عن المقياس الذي يمكن تبنّيه في نقد الاستشراق والحكم عليه لأجابت عنه الآية الكريمة في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨﴾ [المائدة: ٥/٨].

مع أنَّ هذا النوع من العدل مع الآخر ليس متوخّىً من الآخر نفسه، لاسيَّما الآخر الغربي (الأوسط والأقصى خاصَّةً) تجاه المسلمين دائماً، ومع أن كلَّ المؤشّرات

---

(١) انظر: السيد مُحَمَّد الشاهد: الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، الاجتهاد، ع ٢٢ (شتاء العام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م). ص ١٩١ ـ ٢١١.

لا تشجّع على هذا الموقف العادل، إلاَّ أنَّ مطلبَ العدل يأتي توجيهاً من مصدر الثقافة الإسلامية الأوَّل، بحيث يكون توخِّي العدل في الحكم على الأشياء نمطاً من أنماط العبادة لله تعالى؛ لأنَّ فيها طاعةً لأوامره تعالى، كما أنَّ توخِّي استحضار مفهوم الولاء والبراء فيه طاعةٌ لله تعالى، فلا يُغلَّب مفهوم على حساب آخر.

ومع أنَّ هناك صناعةً للعداء تجاه المسلمين[1]، وأنَّ هناك انسياقاً غربيّاً إلى رسم الإسلام عدوّاً للغرب، فإنَّ ذلك سيؤدِّي كما يقرِّر المستشرق الألماني فريتس شتيبات إلى إحالة الطرفين، لاسيَّما في الغرب، للبحث في الأسباب التي أدَّت إلى ما يسمِّيه المفكِّرون الغربيُّون بالأصولية الإسلامية، وتدبُّر الوسائل التي تساعد على استبعاد هذه الأسباب. وسوف يؤكِّد هذا شعور المسلمين بأنَّهم محاطون بقوىً معادية تتربَّص بالإسلام وتسعى إلى القضاء عليه، وبذا يدفع الغربيون المسلمين دفعاً إلى هذه الأصولية، وسيكون هذا التصوير بالأصولية أشبه ما يكون

(١) انظر: رجب البنَّا: صناعة العداء للإسلام، القاهرة، دار المعارف، ٢٠٠٣م. ٤٦٤ ص.

بصبٌ مياه جديدة في طواحين العداء للمسلمين المقيمين في الغرب الأوسط والغرب الأقصى.

المواجهة هنا تقتضي التفاهُم لا التحارُب[1]. النظرة إلى الإسلام والمسلمين على أنهما خطر على العالم كله، لاسيَّما على الغرب الأوسط والأقصى، هي نظرة متطرِّفة مهما كانت الجهة التي جاءت هذه النظرة منها.

يؤكِّد مُحَمَّد جلاء إدريس عدم اللجوء إلى هذا التوجُّه بعبارة هي أكثرُ وضوحاً بقوله: «ينبغي ألا يسيطر التطرُّف على معالجتنا للقضايا المهمَّة في عالمنا، فلا نقع في إفراط أو تفريط، ولا في تهويل أو تهوين. نحن بحاجة إلى عقول تربَّت ونمت على الموضوعية، تدرس الماضي، وتفسِّر الحاضر، وتخطِّط للمستقبل. ولسنا بحاجة إلى من يُهاجم فكراً أو يدافع عن فكر آخر، دون

(١) انظر: عشر قضايا عن الأصولية الإسلامية، ص ٧٩ ـ ٨٣، في: فريتس شتيبات: الإسلام شريكاً: دراسات عن الإسلام والمسلمين/ ترجمة عبدالغفَّار مكَّاوي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ٢٠٦ ص، (سلسلة عالم المعرفة؛ ٣٠٢).

أنْ يكلِّف نفسه عناء التفكير في البدائل الناجعة»[١]. ولذلك فإنَّ عين الرضا أو عين السخط لا تُستحضران هنا، من قول الشاعر العربي:

وعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيْلَةٌ
وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِيْ الْمَسَاوِيَا

تفيئة الاستشراق

إذا كان لا بُدَّ من التفيئة للاستشراق بحسب مواقف المستشرقين من الثقافة الإسلامية إيجاباً أو سلباً، وتوزيعه إلى استشراقات؛ فإنَّ ما يتبادر إلى الذهن في صناعة الاستشراق للكراهية بين الثقافات هو ذلك الاستشراق اليهودي المتصهين، الذي يمكن أنْ يُنظر إليه على أنَّه أبرزُ الاستشراقات التي وقفت داعمةً لكلِّ ما كان له أثر في صناعة الكراهية، ويتأكَّد ذلك لدى ما أسماه المفكِّرون العرب بالاستشراق الإسرائيلي، مما يوحي بأنَّ هناك استشراقاً يهوديّاً غير متصهين، أي إنَّه قريب من الاعتدال، إنْ لم يكن معتدلاً مع الثقافة الإسلامية.

(١) انظر: مُحَمَّد جلاء إدريس: العلاقات الحضارية، دمشق، دار القلم، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ص ١٢١.

وهذا ممكن ووارد، وإن كان في النفس شيء من ذلك لدى بعض دارسي الاستشراق من حيث المبدأ، إذ لم يُعن جملة اليهود بأن يتركوا هذا الانطباع عنهم، لاسيَّما أنَّ معاداة الأمم الأخرى غير اليهودية، وعلى رأسها المسلمون هي جزء من المعتقد اليهودي.

لذلك، ومع تلمُّس الاعتدال في الاستشراق اليهودي، إلاَّ أنَّ هناك توجُّساً من أيِّ إسهام يهودي استشراقي في مجال الثقافة الإسلامية، لاسيَّما إذا تبيَّنت هويَّة المستشرق، الأمر الذي لا يبدو أنَّه ممكن بسهولة، فليس كلُّ المستشرقين اليهود يرغبون في أنْ يصنَّفوا على أنَّهم كذلك؛ رغبةً من هذه الفئة في ألاَّ تخضع للتصنيف أو التفيئة، الذي قد يؤثِّر في أدائها الموضوعي في دراستها للتراث العربي الإسلامي. يقول إبراهيم عبدالكريم، في كتابه (الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل): «إنَّ واقع التماثُل بين المستشرقين اليهود وبين المستشرقين الآخرين لا يلغي احتمال تزايُد تأثير الدوافع الذاتية بالنسبة لمستشرق يهودي يتعامل مع الشؤون العربية والإسلامية لدى بحثه في هذه الشؤون من موقع

التنافُس اليهودي ـ الإسلامي على كسب المشروعية، أحدهما في مواجهة الآخر»[١].

انطلق الاستشراق اليهودي من الرغبة في خدمة اللغة العبرية وكذا العرقية السامية. ولما للُّغة العبرية من ارتباط باللغة العربية، وللرغبة في الربط بين الإسلام واليهودية، فقد توجَّه رهطٌ منهم إلى التراث العربي الإسلامي «لأسباب دينية، وهي محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمه بإثبات فضل اليهودية على الإسلام، بادِّعاء أنَّ اليهودية هي مصدر الإسلام الأوَّل، ولأسباب سياسية تتَّصلُ بخدمة الصهيونية: فكرةً أوَّلاً، ثمَّ دولةً ثانياً. هذه وجهة نظر ربَّما لا تجد مرجعاً مكتوباً يؤيِّدها، غير أنَّ الظروف العامَّة والظواهر المترادفة في كتابات هؤلاء المستشرقين تُعزِّز وجهة النظر هذه، وتخلع عليها بعض خصائص الاستنتاج العلمي»، كما يقول مُحَمَّد البهي[٢].

---

(١) انظر: إبراهيم عبدالكريم: الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل، عمَّان، دار الجليل، ١٩٩٣م. ص ٣٩.

(٢) انظر: المبشِّرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام، ص ٤١٥ ـ ٥٠٣. والنصُّ من ص ٤٣١، في: مُحَمَّد البهي: الفكر =

على هذا فإنَّه عند الحديث عن الاستشراق السياسي، الذي يقوده مفهوم المصالح، يبرز في زماننا الراهن الاستشراق المتصهين، سواءٌ أكانت هذه الصهينة بين مستشرقين يهود، أم كانت بين مستشرقين متصهينين غير يهود، لكنَّهم تعاطفوا مع الحركة الصهيونية؛ بفعل التأثير السياسي، أو التنصيري، لاسيَّما المذهب البروتستانتي بين المسيحيين، الذي يكاد يكون ناصراً قويّاً لليهودية، بل ربَّما يكون سعى إلى تهويد المسيحية، وسلبها روحها والعودة بمصدرها إلى العهد القديم (التوراة)، وليس العهد الجديد (الإنجيل)[1]. تقول هبة رءوف عزَّت: «إن معرفة الصورة الكاملة والمركَّبة والديناميكية للتيارات الأصولية المتطرِّفة التي تؤثِّر على السياسة الأمريكية وتدعم المنظور التوسُّعي والتطرُّف المتسربل بخطاب

= الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، القاهرة، دار غريب، ط١١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ٥١٢ ص.

(١) انظر: ريجينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي/ ترجمة أحمد عبدالله عبدالعزيز، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٥م، (سلسلة عالم المعرفة؛ ٩٦).

مسيحي، لا يجب أن تصرفنا عن الوعي ومعرفة الخرائط المقابلة للكنائس المسيحية المعتدلة والتي تدعم السلام وترفض التطرُّف والحرب وتشارك في أنشطة المجتمع المدني العالمي كافَّةً من أجل عالم أفضل، فهم ليسوا سواء»[١].

وربَّما يكون المذهب البروتستانتي ناصراً للصهيونية[٢]، حتَّى أضحى بعض الوعَّاظ البروتستانت يهوديين أكثر من اليهود أنفسهم، وربَّما متصهينين أكثر من الصهيونية نفسها[٣]، على أنَّ هذه الحال من المناصرة لا تدوم[٤]؛ إذ إنَّ هناك بوادرَ تراجُع في هذا

(١) انظر: كيمبرلي بلاكر، محرِّرة: أصول التطرُّف: اليمين المسيحي في أمريكة/ ترجمة هبة رؤوف وتامر عبدالوهَّاب، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٦م. ص ١٢.

(٢) انظر: محمد السماك: الصهيونية المسيحية، بيروت، دار النفائس، ط٣، ١٩٩٣م.

(٣) انظر: محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدوحة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤٠٤هـ ص ٤٩.

(٤) هناك من يرى أنَّ تأييد البروتستانت لليهود، لاسيَّما في فلسطين المحتلَّة، في تناقُص، مما أدَّى إلى إعراض اليهود عنهم. انظر: =

التوافق الفكري بين النحلتين وشيء من الاضمحلال في الالتقاء[١].

وبذا التقت الأهداف والمصالح بين بعض المستشرقين اليهود وبعض المستشرقين البروتستانت[٢]. ومع هذا فإنَّه يمكن القول إنَّه ليس كلُّ المستشرقين متسيِّسين على هذه الشاكلة، وليس كلُّ المستشرقين المتسيِّسين على هذه الشاكلة[٣].

= والتر راسل ميد: بلاد الله: تأثير الإنجيليين الجدد في السياسة الخارجية الأمريكية، التسامُح، ع ١٥ (صيف ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م). ص ٣٥١ ـ ٣٦٠.

(١) «٥٩٪ من الشعوب الأوربّية ترى أنَّ إسرائيل بممارساتها العدوانية تمثِّل خطراً على الأمن والسلم الدوليين»، انظر: سعيد اللاوندي: الإسلاموفوبيا: لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟، القاهرة، نهضة مصر، ٢٠٠٦م. ص ٧.

(٢) انظر: إبراهيم عبدالكريم: الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل، عمّان، دار الجليل، ١٩٩٣م. ص ٣٩.

(٣) في التعرُّف على الأبعاد الصهيونية التي سيطرت على فئة من المستشرقين، وللنظرة العرقية اليهودية، انظر مؤلَّفات عبدالوهَّاب المسيري في اليهودية، ومنها: في الخطاب والمصطلح الصهيوني: دراسة نظرية وتطبيقية، القاهرة، دار الشروق، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ٢٨٣ ص.

يمكن القول أيضاً إنَّ أثر الاستشراق في صناعة الكراهية يتمحور في الاستشراق الاستعماري ثم الاستشراق السياسي، اللذين جاءا تلبيةً لمطامع سياسية غربية في الشرق، منذ حقبة الاستعمار إلى اليوم، حين كان من منطق الاستشراق السياسي ما تجسّده عبارة كريستيان سنوك هورخرونيه: «كلَّما أصبحت الدول الإسلامية تحت نفوذنا اشتدَّت أهمية دراسة حياتها وثقافتها»[1].

يعني هذا فيما يعنيه ضرورة عزل الاستشراق الاستعماري والسياسي عن الاستشراقات الأخرى، والتعامُل معه بما تقتضيه مسبِّبات وجوده، ودوافع اختراعه. وهذا يعني كذلك التوكيد على الابتعاد عن التعميم في الحكم على الاستشراق بهذه الصورة التي تزخر بها كثير من المراجع العربية التي تصدَّت لنقد الاستشراق.

---

(١) انظر: محسن جاسم الموسوي: الاستشراق السياسي: فرضياته واستنتاجاته، الاستشراق، ع ٣ (١٩٨٩م). ص ٤ ـ ١٣.

يقصر المنشور العربي الراهن عن نقد الاستشراق السياسي مستقلاً في محاولة لعزله عن بقية الاستشراقات، وفيما عدا إسهامات إدوارد سعيد المشهورة في كتابه ذائع الصيت: الاستشراق[١]، الذي غطَّى فيه الجانب "الإمبريالي" من الاستشراق، وكرَّره في كتابه الآخر: الثقافة والإمبريالية[٢]، والكتاب الثالث: تغطية الإسلام[٣]، ونظر إليه على أنَّه أسلوب غربي «للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه، والتسلُّط عليه»[٤]. فيما عدا ذلك لا تكاد تجد عملاً علمياً مستقلاً عن الاستشراق السياسي، مع وجود محاولات ضمنية شخَّصت البعد السياسي للاستشراق، مع أنَّ هذا البُعد

(١) انظر: إدوارد سعيد .الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق. ـ مرجع سابق. ـ ٦٥٠ ص.

(٢) انظر: إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية/ نقله إلى العربية وقدَّم له كمال أبو ديب، بيروت، دار الآداب، ١٩٩٧م. ٤١١ ص + الهوامش.

(٣) انظر: إدوارد سعيد: تغطية الإسلام/ ترجمة وتقديم مُحَمَّد عناني، القاهرة، دار رؤية، ٢٠٠٥م. ٣٥٢ ص.

(٤) انظر: إدوارد سعيد: الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، مرجع سابق، ص ٤٦ و٥٨.

واضحٌ في الحركة الاستشراقية وضوح الاستشراقات الأخرى[١].

من الإجحاف في حقِّ مجموعة كبيرة من المستشرقين أنْ يضمَّنوا في هذه الفئة المتسيِّسة فقط. الأمر الذي لم يسلم منه إدوارد سعيد نفسه، وهو يسعى إلى تلافي التعميم[٢]. فقد رأى إدوارد سعيد الاستشراق من خلال «عقلية استعمارية إذا صحَّ التعبير، وليس تخصُّصاً؛ لأنَّ المتخصِّصين ما صنعوه أو طوَّروه، بل هم عملوا واعين أو غير واعين في خدمة سلطان القوَّة، واضعين على وجوههم أقنعة الأكاديمية والمعرفة!»[٣].

---

(١) انظر: مصطفى نصر المسلاتي: الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، طرابلس (ليبية)، دار اقرأ، ١٩٨٦ م. ٢٨٨ ص. وانظر أيضاً: مُحَمَّد فتح الله الزيادي: قراءات في مناشير استشراقية: دراسة في الاستشراق السياسي، مستقبل العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٠١-٢٢٤.

(٢) انظر: نسيب الحسيني: الغرب المتخيَّل: رؤية الآخر في الوجدان السياسي العربي/ ترجمة غازي برُّو، بيروت، دار الفارابي، ٢٠٠٤م. ص ٢٧٠ ـ ٢٨٥.

(٣) انظر: رضوان السيِّد: خمسة وعشرون عاماً على كتاب (الاستشراق): استشراق إدوارد سعيد وعلاقات الشرق =

من هذا المنطلق في ضعف التفريق بين الاستشراقات فئوياً يمكن أن يستنتج المتابع أنَّ معظم النقد السلبي للاستشراق، إذا كان لا بُدَّ من الترتيب، إنَّما ينصبُّ على هذه الاستشراقات الثلاثة: الاستشراق الاستعماري والاستشراق السياسي والاستشراق المتصهين، ثمَّ يأتي الاستشراق الديني أو التنصيري في مرتبة رابعة. وهذه الأقسام الأربعة ليست هي الاستشراقَ كلَّه.

= بالغرب، دراسة في النصّ والوعي والواقع، ص ٦١ ـ ٧٢. والنصُّ من ص ٦٢، في: يوسف كرباج ومنفرد كروب، مشرفان: تأمُّلات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضره، مرجع سابق، ١٤٠ ص.

الفصل الثاني

وجوه الالتقاء وصناعة الكراهية

الأصل في الثقافات التي تقوم على وحيٍ منزَّل من الله تعالى على أنبيائه ورسله (عليهم الصلاة والسلام)، والتي استمدَّت مقوِّماتها الثقافية من أصول الأديان، الأصل فيها التلاقي، ذلك أنَّها تؤمن بما اصطلحنا عليه نحن المسلمين بأركان الإيمان الستَّة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشرِّه[1]. ومن ثمَّ فلا مجال في الأصل لصناعة الكراهية بينها في هذه المقوِّمات الإيمانية، ذلك لأنَّ منبعها واحد وأهدافها في أصلها واحدة «إلا ما ورد من باب التجاوُز

(١) انظر: جون إل. إسبوزيتو: الإسلام والغرب عقب ١١ أيلول/ سبتمبر: حوار أم صراع ثقافي حضاري؟، دبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٣م. ص ٢٨. (سلسلة محاضرات الإمارات؛ ٧٤).

والافتراءات»[١]، ثمَّ التحريفات التي تدخَّل فيها الإنسان نفسه، من خلال ما تعارف عليه علماء الأديان برجال الدين.

مع هذا سعى بعض المعنيين بمقارنة الأديان من المستشرقين، لاسيَّما الفرنسيين منهم، إلى إيجاد بعض نقاط التلاقي بين الإسلام والملل الأخرى الشرقية التي وضعها الإنسان في المنطلقات العامَّة كالمساواة والزهد والتوافق الثقافي وآليات التملُّك. وضرب مثلاً بالهندوسية. ولم ترقَ نقاط التلاقي هذه إلى الحدِّ من صناعة الكراهية في الواقع، وفي ضوء طغيان الطبقية من لدن الأكثرية الهندوسية (٧٥٪) تجاه الأقلية المنبوذة (١٧٪)، والأقلية المسلمة (١٤٪)، والأقلية المسيحية (٢,٥٪)[٢].

(١) انظر: عبدالله التطاوي: الحوار الثقافي: مشروع التواصُل والانتماء، القاهرة، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، ٢٠٠٦م. ص ٩٠. (سلسلة مكتبة الأسرة).

(٢) انظر: مارك غابوريو: الإسلام والأديان الآسيوية الأخرى في نظر المستشرقين الفرنسيين، ص ٢١ ـ ٤٠، في: يوسف كرباج ومنفرد كروب، مشرفان: تأمُّلات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضره، مرجع سابق، ١٤٠ ص.

وسعى بعضُ المستشرقين إلى ترسيخ مفهوم الطبقية بين الأجناس الغربية من جهة والأجناس الشرقية من جهة أخرى. فجاءت هذه التفرقة على أساس جهوي؛ فالغربيُّون بهذا المفهوم فعَّالون وعقلانيون وماذِّيون وواقعيون ويعيشون في النسبي وزمانهم غير قابل للتكرار وللإعادة، وهم يؤمنون بالمستقبل والتخطيط له، والشرقيُّون منفعلون وجدانيون وغارقون في الروحانيات والغيبيات والمقدورات ومنظومتهم القيمية مطلقة وجامدة، وزمانهم يكرِّر نفسه باستمرار. ويتزعَّم هذه التفرقة العرقية المستشرق الفرنسي (إرنست رينان ١٨٢٣-١٨٩٢م)[١].

منهج التعارُف بين الأمم

والأصل أنَّ من مقاصد خلق الأمم التعارُف وتغليب نقاط الالتقاء الكثيرة بين الأمم، بمعنى أنَّ مساحات التلاقي أوسع بكثير من هامش الاختلاف، ومن ثمَّ عدم

(١) انظر: عبدالرزَّاق الدَّوَّاي: في أخلاقيات الحوار بين الثقافات حول مبدأي التسامُح وحقِّ الاعتراف، التسامُح، ع ١٥ (صيف ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). ص ٢٦٨ ـ ٣١٠.

الالتفات إلى وجود فروقات إثنية أو عرقية أو جنسية،[١] وإنَّما يتفاضل الخلقُ بأعمالهم التي يكونون قريبين فيها من الخالق - جلَّ وعلا - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣/٤٩].

التعارُف بين الشعوب والقبائل «هو أحدُ أرقى المفاهيم وأكثرها قيمةً وفاعلية، ومن أشدِّ وأهمِّ ما تحتاج إليه الأمم والحضارات. وهو دعوةٌ لأنْ تكتشف وتتعرَّف كلُّ أمَّةٍ وكلُّ حضارة على الأمم والحضارات الأخرى، بلا سيطرة ولا هيمنة، أو إقصاء أو تدمير. والتعارُف «هو

(١) اشتهر عن المستشرق الفرنسي الفيلسوف إرنست رينان إيمانه القاطع بالعرقية، وتفوُّق بعض الأجناس على البعض الآخر، وطوَّع أبحاثه ودراساته الاستشراقية لدعم نظريته هذه. انظر: عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، بيروت، المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ط٤، ٢٠٠٣م. ص ٣١١ - ٣٢٠. وانظر أيضاً: نجيب العقيقي: المستشرقون: موسوعة في تراث العرب، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتَّى اليوم، ٣ مج، القاهرة، دار المعارف، ط٤، ١٩٨٠م. ١: ١٩١.

الذي يحقِّق وجود الآخر ولا يُلغيه، ويؤسِّس العلاقة والشراكة والتواصُل معه، لا أنْ يقطعها أو يمنعها أو يقاومها»، كما يقول زكي الميلاد[١].

التأسيس للعلاقة والشراكة والتواصُل يقتضي حدّاً أدنى من المساواة؛ ذلك أنَّ الفكر الاستشراقي متَّهم بأنه أسهم في إقامة شراكة غير متساوية بين الشرق والغرب لا يكاد يفلت منها باحثٌ في الغرب حتى لو لم يكن مستشرقاً. «معنى هذا أنَّ كلَّ فكر غربي هو في علاقته بالشرق فكر استشراقي؛ لأنه ينظر إلى الشرق بعين هذا الفكر. ولأن الشرق هذا هو شرق الاستشراق لا الشرق نفسه. فالعلاقة بين الشرق والغرب هي إذن في الفكر الغربي محكومة بالفكر الاستشراقي لا يفلت من هذا الفكر فكر»[٢].

---

(١) انظر: زكي الميلاد: المسألة الحضارية: كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغيِّر، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩م. ص ٣٣٦.

(٢) انظر: مهدي عامل: هل القلب للشرق والعقل للغرب؟: ماركس في استشراق إدوارد سعيد، بيروت، الفارابي، ط٣، ٢٠٠٦م. ص ٩ ـ ١٠.

لقد كان للاستشراق أثر في ترسيخ مفهوم التعارُف بين الأمم من زاويتين؛ الأولى الإيجابية والأخرى السلبية. ويقتضي الأمر قياس هاتين الزاويتين، من حيث طغيان إحداهما على الأخرى. وقد طغت السلبية على معظم الدراسات الاستشراقية المتأخِّرة التي ركَّزت على حوار الحضارات، بدلاً من تعارُف الحضارات. والذي يبدو أنَّ التعارُف أشمل من مجرَّد الحوار،[١] والتعارُف يقود إلى التفاهُم. والمؤكَّد أنَّ هذا البُعد الاستشراقي كان له أثره في البُعد الإعلامي في التعارُف، الأمر الذي يخرج عن نطاق هذا البحث[٢].

والأصل أنَّ من مقاصد الخلق أنْ يكون الناسُ أمماً وليس أمَّةً واحدة، وذلك تثبيتاً لمبدأ التسابُق إلى

(١) انظر: زكي الميلاد: من حوار الحضارات إلى تعارُف الحضارات، ص ٣٣ ـ ٦٥، في: زكي الميلاد، معدّ: تعارُف الحضارات، مرجع سابق، ٢٠٢٦ ص.

(٢) انظر: طاهر عبد سالم: تعارُف الحضارات: من أطروحات الاستشراق إلى التمركُز الإعلامي والدعاية المضادَّة، ص ١١٥ ـ ١٤١، في: زكي الميلاد، معدّ: تعارُف الحضارات، المرجع السابق، ٢٢٦ ص.

الـخـيـرات .﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٥/٤٨].

منهج التنافس والتدافُع

والأصلُ في هذا التسابُق أنْ يصحبَه تنافُسٌ وتدافُعٌ إلى الخيرات؛ للتغلُّب على الإفساد في الأرض، «فلو لم يكن هناك تدافُعٌ بين الناس لفسدت الأرض، ولهُدِّمت عمارتها، بما في ذلك أماكن العبادة، وهي أخصُّ ما يذود عنه الإنسان»[1] .﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ

---

(١) انظر: مُحمَّد جلاء إدريس: العلاقات الحضارية، مرجع سابق، ص ١٠٦.

﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج: ٢٢/ ٤٠].

من المؤكَّد أنَّ هذا التدافُع والتنافُس إنما هو في مضمار الصلاح والإصلاح، واستغلال اختلاف المشارب والمناهج على أنها وسيلة إلى الاستباق في مجال الخيرات. «والاستباق والتسابُق يقتضي التدافُع بين المتسابقين، قد يسقط في الحلبة الضعيف، كما قد يسقط من يحاول مجابهة الإصلاح ومقاومته، لكن هدف التسابُق والتدافُع في النهاية هو حماية الإنجازات الإنسانية ـ الحضارية ـ على وجه الأرض»[1]، أي عمارة الأرض والاستخلاف فيها.

منهج النظرة الوسط

والأصل أنْ تقوم نظرة الإسلام للثقافات الأخرى على المنهج الوسط الذي سار عليه سلف هذه الأمّة في التعامُل الواضح مع الثقافات المعاصرة، من حيث إعطاؤها قيمتها الفعلية، ومن ثمَّ الإفادة من معطياتها

---

(١) انظر: مُحَمَّد جلاء إدريس: العلاقات الحضارية، المرجع السابق، ص ١٠٧.

العلمية والمعرفية والحضارية، دون الحاجة إليها في الجوانب العقدية والشرعية، وبما لا يتعارض مع تلك الثوابت التي جاء بها هذا الدين، فكانت هناك حركة ترجمة ونقل للعلوم والمعارف، على اعتبار هذا النقل يمثِّل شكلاً من أشكال الحوار والتواصُل بين أمَّة الإسلام والأمم المعاصرة الأخرى[١].

منهج التأثُّر والتأثير

الأصل في بناء الحضارات المشاركةُ في جهود البناء بالفكر والعلم والجسم. ويؤكِّد تاريخ الحضارات أنَّ مسألة الاستعانة بإمكانات الأمم المتعاصرة كان ديدناً في بناء الحضارات، بحيث يتعذَّر حصر بناء الحضارات على أمَّة دون مساعدة بشكل من الأشكال من أمم أخرى معاصرة لها أو سابقة عليها[٢]. الحضارة الإسلامية في قرونها الأولى لم تُغفل هذا البُعد، فاستعانت بغير

(١) انظر: مُحَمَّد عبدالحميد حمد: حوار الأمم: تاريخ الترجمة والإبداع عند العرب والسريان، دمشق، دار المدى، ٢٠٠١م. ٥٣١ ص.

(٢) انظر: عبدالرحمن بدوي: دور العرب في تكوين الفكر الأوربّي، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤م. ٢٥٦ ص.

المسلمين المعاصرين والسابقين، وليس هذا مجالَ الاستشهاد وتعداد صنوف الاستعانة، مما هو مبثوث في كتب تاريخ العلوم[1].

والحضارة المعاصرة التي نشأت في الغرب لم تنشأ دون الاستعانة بالأمم الأخرى، ومنها الأمّة الإسلامية. ولا ينعدم وجود مسلمين أسهموا في بناء هذه الحضارة من الخبرات إلى الحرفيين، بحيث كوَّن المسلمون من أصول مختلفة وجوداً ظاهراً في الحياة الغربية.

الطلبة المسلمون

وأصبح لوجود المسلمين أثر وتأثير، بما في ذلك أثر الطلبة المسلمين الذين تلقَّوا علومهم على علماء الغرب، وكوَّنوا - مع أن وجودهم مؤقَّت - جسراً للتعارُف بين الشعوب من خلال أوجه النشاط العلمية والثقافية والاجتماعية التي كانوا يقومون بها في المجتمع الغربي. فكانوا على العموم مثالاً لحسن الخُلُق من خلال

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة: النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط٣، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. ٢٠٤ ص.

السلوكيات والنظرة الجادَّة، وإنْ لم يخلُ بعضهم من تأثُّر بالنمط اللهوي الغربي للحياة.

هذا الموضوع يحتاج إلى بحث علمي يركِّز على مدى أثر البعثات التعليمية الإسلامية إلى الغرب وتأثيرها الإيجابي في رحلة التعارُف بين الأمم[1]، سواءٌ ذهب هؤلاء لدراسة العلوم الإسلامية في المراكز الاستشراقية[2]، ثمَّ عادوا لتطبيق المنهج الاستشراقي في دراسة العلوم الإسلامية والعربية[3]، أم بوجه أوسع حين

(١) حذَّر بعض الذين كتبوا في هذا المجال من تأثُّر الطلبة المسلمين بالمادِّية الغربية، على حساب النظرة المتوازنة بين المادَّة والروح. وكان هذا التوازُن هو الرسالة التي حملها الطلبة المسلمون إلى الغرب. وقليلٌ منهم من عاد إلى وطنه وهو خلو من هذه النظرة المتوازنة.

(٢) تتمُّ استعانة المستشرقين الجدد بأطقم مدرَّبة جيِّداً من المثقَّفين العرب والمسلمين، الأمر الذي لم يكن وافراً بهذا الوضوح مع الاستشراق التقليدي الذي استعان بنخب غربية أوربِّية وأمريكية. انظر: فاضل الربيعي: ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء، مرجع سابق، ص ٢٥.

(٣) العلاقة المباشرة بين الاستشراق وعلماء الإسلام والعربية لم تكن مقصورةً على هذا النوع من التلقِّي، بل إنَّها بدأت بشيء من الندِّية من خلال مؤسَّسات علمية وتعليمية غربية وشرقية. =

ذهبوا لدراسة تخصُّصات علمية تطبيقية وبحتة تحتاج إليها البلاد الإسلامية التي بعثتهم لها. وهؤلاء هم الكثرة الذين بسطوا بتلقائيتهم قدراً لا يُستهان به من تجسير الفجوة في العلاقات الفكرية بين الشرق والغرب، وإنْ لم ينووا الإقامة الدائمة في الغرب، إلا أنَّ وجودهم ترك أثراً إيجابياً على العموم في تجسير هذه العلاقة، وإنْ لم يخلُ وجود بعضهم ممن له قابلية للتأثُّر بالنزعة المادية في النظرة للحياة، ومن ثمَّ تأثُّر البعد الروحاني سلباً لديهم، لما تلقَّوه بطرق غير مباشرة من وجود فجوة ذهنية بين العلم والروحانيات في الثقافة الغربية، فعاد بعضهم ليبثَّ المنهج المعلمن في إدارة الحياة.

فهذا موريس بوكاي يحذِّر من أنْ يسري هذا التأثُّر بين الطلبة المسلمين الذين يدرسون في الغرب، يقول: «كانت البلاد المسيحية، في تلك الفترة من القرون الوسطى، في ركود وتزمُّت مطلق، توقُّف البحث

= انظر: سمير قصير: تعليق/ ترجمة محمد صبح، ص ١٠٧ - ١١٣، في: يوسف كرياج ومنفرد كروب، مشرفان: تأمُّلات في الشرق، مرجع سابق، ١٤٠ ص.

العلمي، ليس بسبب التوراة والإنجيل وإنَّما، وعلينا أنْ نكرِّر ذلك، بأيدي هؤلاء الذين كانوا يدَّعون أنهم خدَّام التوراة والإنجيل. وبعد عصر النهضة في أوربَّة كان ردُّ الفعل الطبيعي أنْ يأخذ العلماء بثأرهم من منافس الأمس. وهذا الثأر مستمرٌّ حتَّى اليوم لدرجة أنَّ التحدُّث حالياً في الغرب عن الله في الأوساط العلمية يعتبر - فعلاً - علامة الرغبة في التفرُّد. ولهذا الموقف تأثيره السيِّئ على العقول الشابَّة (والمسلمة منها أيضاً) التي تتلقَّى تعليمنا الجامعي»[١].

وتؤكِّد آمال قرامي في هذا المقام على أنه «لا مناص من القول إن البعثات الدراسية إلى الخارج يسَّرت عملية اندماج المسلم في المدنية الغربية، ومكَّنته من الاطلاع على ديانات مختلفة وحضارات متعدِّدة، وأكسبته شيئاً من أساليب الحياة الغربية، ومن الاتِّجاه الغربي في التفكير

(١) موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدَّسة في ضوء المعارف الحديثة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨م. ص١٤١.
Maurice Bucaille. The Bible the Qur'an and Science. - Translated from French by: Alastair D. Pannell and the Author.- Indianapolis: North American Trust, 1978.- p 117.

والعلم والسلوك وما إلى ذلك. ومن ثمَّة صار (الارتداد) ممكناً، خاصَّة إذا علمنا أنَّ المبشِّرين كانوا حريصين على تتبُّع أحوال هؤلاء الطلبة واستغلال حالة الوحدة والعوز التي يعاني منها أكثرُهم لفائدة تحقيق أغراض التبشير»[1]. ويكاد معظم الطلبة (الأجانب)، كما يسمُّونهم، من مسلمين وغير مسلمين يتعرَّضون لشكل من أشكال التنصير في المواسم الدينية وفي غيرها.

يؤيِّد المستشرق ولفرد كانتول سميث الطبيب الفرنسي موريس بوكاي وآمال قرامي في هذا المنحى التأثُّري في كتاب له بعنوان: الإسلام في التاريخ الحديث، حيث يقول: «وقد سافر كثير من الشباب المسلم إلى الغرب، واطَّلعوا على روح أوربَّة وقيمها، وأعجبوا بها إلى أبعد حدٍّ. وينطبق هذا بخاصَّة على الطلاب الذين درسوا في جامعات أوربة بعدد لم يزل يزداد مع الأيَّام، وهم الذين سبَّبوا استيراد كثير من أفكار الغرب وقيمه إلى العالم الإسلامي ...

(١) انظر: آمال قرامي: قضية الردة في الفكر الإسلامي الحديث، تونس، دار الجنوب، ١٩٩٦م. ص ٤٩.

وكان مما صدّره الغرب إلى العالم الإسلامي تلك الأفكار المتعدِّدة، والاتجاهات العقلية الدقيقة الفجَّة، والميول الحديثة التي كان في نشرها أوفر نصيب لنمط التعليم الغربي، ويفوقها في ذلك تأثير معاهد الغرب الحقوقية والسياسية والاجتماعية ونفوذها الزائد ... وهكذا أثرت عملية التغريب بسرعة وقوة بالغتين»[١].

الجاليات المسلمة

وعاملٌ آخرُ مؤثِّر في تحسين الصورة العربية الإسلامية في الغرب هو تأثُّر الجاليات المسلمة في أوربة وأمريكة وتأثيرها، مما أدّى إلى تطوير التعليم الإسلامي في التعليم العام والجامعي الأوربّي.[٢] وإنْ كانت الجالية العربية والإسلامية «المسلمون الروس والأتراك

---

(١) نقلاً عن محمد خليفة حسن: أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦.

(٢) انظر: شتيفان رايشموت: خطابات الاستشراق، موقع الدراسات الإسلامية والشرقية في ألمانية اليوم/ ترجمة عدنان حسن، ص ٩٣ ـ ١٠٥، في: يوسف كرباج ومنفرد كروب، مشرفان: تأمُّلات في الشرق، مرجع سابق، ١٤٠ ص.

والبلقانيون والمغاربة في ألمانية وهولندة، والهنود والباكستانيون في بريطانية، ومواطنو شمال أفريقية في فرنسة، وخليط متنوِّع من الكل في أمريكة[١]، التي يُذكر أنها شهدت هجرات مسلمين من الأندلُس قبل اكتشاف كريستوفر كولومبُس لها»[٢].

يغلب على هؤلاء العرب والمسلمين في بدايات هجراتهم لأوربة أنهم كانوا عاملين متكسِّبين لقمةَ العيش، مهاجرين طلباً للاستقرار الاقتصادي، لاسيَّما في الغرب الأوسط أو أوربة الغربية، إلا أنَّ جيلاً من أولادهم نما في الغرب الأوسط وتعلَّم في المدارس الغربية دون أنْ يفرِّط في هويته الإسلامية[٣]، فظهر من أصلاب العاملين جيلُ العالِمين.

(١) انظر: صلاح عبدالرزَّاق: المفكِّرون الغربيون المسلمون: دوافع اعتناقهم الإسلام، مرجع سابق، ٢: ٢٦٩.

(٢) انظر: عثمان أبو زيد عثمان ومحمد وقيع الله أحمد: الوجود الإسلامي في أمريكة: الواقع والأمل، مكَّة المكرَّمة، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٦هـ. ١٤٦ ص، (سلسلة دعوة الحقِّ؛ ٢١٢).

(٣) انظر: فريتس شتيبات: الإسلام شريكاً: دراسات عن الإسلام والمسلمين، مرجع سابق، ص: ١١٥ ـ ١١٧.

بدأ هذا الجيل يدخل (معتركات) الحياة الغربية بثقل وشخصية تختلف عن شخصية الرجل الأبيض الأنجلوساكسوني المتعالية، مما يعني أنَّ هناك نزوعاً للتزاوج الثقافي الذي يسهم في التقليص من صناعة الكراهية، إذا لم تنبرِ بعض الرؤى الغربية التي تسعى إلى إعادة تهجير الجاليات، لاسيَّما الإسلامية منها المقدور على تهجيرها؛ حمايةً للثقافة الغربية من سيطرة الثقافة الإسلامية عليها، في ضوء تنامي الجاليات المسلمة في الغربين الأوسط والأقصى، وارتفاع المآذن وعمارة المساجد والمراكز الإسلامية والمؤسَّسات الاجتماعية والتربوية والتعليمية، والسعي إلى إيجاد بيئة إسلامية للأفراح والأتراح.

يؤدِّي هذا الاندماج إلى ترسيخ القيم الإسلامية في بلاد المهجر، لا من حيث الممارسات الخاصة فحسب، بل من حيث العلاقات مع الآخرين من منطلق إضافةِ الإسلامِ «إلى رصيد العدالة العالمية بعضَ الحماية من جحيم فساد البشر الأخلاقي؛ فمن الناحية التاريخية كان الدين والحضارة يقاومان قوىً أسهمت في أسوأ ما شهده

القرن العشرون من البربرية لبعض الفترات: العنصرية والإبادة الجماعية والعنف داخل المجتمع»[(١)].

كما يؤدِّي هذا الاندماج إلى تسنُّم المسلمين مستويات عملية وعلمية وتقنية وفنية وأكاديمية فرضت وجودها في المجتمعات الغربية[(٢)]، ويتعذَّر تهجيرها من الغرب الأقصى، أمريكة الشمالية خاصَّة، لاسيَّما أنَّ الدين الإسلامي أصبح هو الديانة الثانية في الغرب الأوسط أو أوربَّة الغربية[(٣)].

لم يعُد «من المتخيَّل أبداً أنْ يشهد وجود الإسلام في

---

(١) انظر: علي الأمين المزروعي: القيم الإسلامية والقيم الغربية، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، د. ت. ص ١٨، (سلسلة دراسات عالمية؛ ٢١).

(٢) يذكر علاَّل سيناصر أنَّ بعض الدراسات الاجتماعية قد أثبتت أنَّ قدرة الغرباء على العطاء تكون في أقوى صورها إذا كان هؤلاء الغرباء على معرفة جيِّدة بثقافة بلدهم الأصلي. انظر: سعيد اللاوندي: الإسلاموفوبيا: لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟، مرجع سابق، ص ٢٨٣.

(٣) انظر: صلاح عبدالرزَّاق: المفكِّرون الغربيون المسلمون: دوافع اعتناقهم الإسلام، مرجع سابق، ٢: ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

الغرب تراجُعاً ما، فلا يمكن إلغاء هجرة العمالة الوافدة من المسلمين إلى أوربة، ولا وقف هجرة الأكاديميين المسلمين إلى أمريكة الشمالية، ولا تعطيل استجابة الأعداد الغفيرة من الأفروأمريكيين لدعوة الإسلام واعتناقهم إيَّاه»[1].

هذا بالإضافة إلى الرأي القائل بأنَّ توجُّه أوربة للشرق الإسلامي حقيقة قادمة، وقدر محتوم، الأمر الذي ينبغي ألا يؤخذ بسطحية[2]، بالإضافة إلى تنامي المسلمين من حيث العدد؛ إذ من المتوقَّع أن يصل المسلمون في نهاية هذا القرن الميلادي إلى نصف العالم، في الوقت الذي تشهد فيه الأجناس الأوربّية، خصوصاً في الغرب الأوسط، تضاؤلاً في التكاثُر وانحدار معدَّل الإنجاب إلى ١,٢٪ في معظم أوربة الغربية، وفي روسية ١,٥٪

---

(١) انظر: مراد هوفمان: الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود/ تعريب عادل المعلِّم وياسين إبراهيم، القاهرة، مكتبة الشروق، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م. ص ١٩٨.

(٢) انظر: زيغريد هونكه: التوجُّه الأوربّي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة وقدر محتوم/ ترجمة هاني صالح، تقديم إسماعيل مروة، بيروت، مؤسَّسة الإيمان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. ٢٩٥ ص.

بين غير المسلمين، وهي بين المسلمين ٥٪[(١)]، ممَّا ينذر بتقلُّص هذه الأجناس ديموغرافيّاً في هذه البقعة من العالم، إذ إنَّ الحدَّ الأدنى للبقاء ينبغي ألا ينقُص عن ٢,١٪، كما يشخِّص ذلك باتريك ج. بوكانن في كتابه موت الغرب[(٢)]. وليس المراد هنا ما تردَّد من أفول الغرب، إذ إنَّ بعض المفكِّرين يرى في إطلاق هذا المفهوم ترجمة لأمانٍ عند البعض wishful thinking، أو ترجمة لنظرة تشاؤمية عند آخرين، فالغرب يزداد بالتغريب، لاسيَّما مع انتهاء الاتِّحاد السوفييتي وسعي كثير من دول الاتِّحاد السوفييتي السابق ودول البلقان إلى الانضواء تحت مفهومات الثقافة الغربية، بما في ذلك الدخول في منظومة الاتِّحاد الأوربّي، خلافاً لمن قال

---

(١) انظر: شيرين هانتر: الإسلام في روسية: سياسات الهوية والأمن، ٢٠٠٧م، نقلاً عن أورلاندو فيغس، مراجع. الإسلام والمنحى الروسي، التسامُح، ع ١٦ (خريف ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م). ـ ص ٣٥٤ ـ ٣٥٨.

(٢) انظر: باتريك ج. بوكانن: موت الغرب: أثر شيخوخة السكّان وموتهم وغزوات المهاجرين على الغرب/ نقله إلى العربية: محمد محمود التوبة، راجعه: محمد بن حامد الأحمري، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م. ٥٢٩ ص.

بأفول الغرب تأسيّاً بشبنغلر الذي يبدو أنه متشائم من أفول الثقافة الغربية لا الحضارة الغربية، وربَّما وافقه على ذلك كلٌّ من كروشه وبرغسون وتوينبي[1]. على أنَّ رؤية بوكانن لا تنطلق من مفهوم فلسفي، بل إنَّها تنظر إلى هذا الموضوعية نظرة ديموغرافية مشبعة بالبيانات والإحصائيات والحقائق.

ولا تنتهي هذه الفقرة دون التعريج على احتمال وجود جالية عربية مسلمة في الغرب ذات قسط من الثقافة ذات النزعة الليبرالية أو الماركسية. «هؤلاء المسلمون المثقَّفون يستغلُّون المصداقية التي يحظون بها في وسائل الإعلام الغربي للدعاية لما يسمَّى بالإسلام الأوربِّي Euro-Islam، وهو قليل من الإسلام كثير من الأوربِّي. هؤلاء المثقَّفون يجعلون المسلمين النشيطين الآخرين يظهرون بمظهر المتطرِّفين»[2].

«هذا الأمر يؤدِّي دوماً إلى أسئلة من قبيل: لماذا

---

(١) انظر: جورج طرابيشي: ازدواجية العقل: دراسة تحليلية نفسية لكتابات حسن حنفي، دمشق، دار بترا، ٢٠٠٥م. ص ١٤٥ ـ ١٥٢، (سلسلة المرض بالغرب؛ ٢).

(٢) انظر: صلاح عبدالرزّاق: المفكِّرون الغربيون المسلمون: دوافع اعتناقهم الإسلام، مرجع سابق، ٢: ٢٦٨.

لا تستطيعون أن تكونوا مثل هؤلاء المثقَّفين؟ فهم لا يريدون بناء مساجد، ولا يحجُّون، ولا يصلُّون دوماً، كما أنهم يتناولون الخمر، ويسمحون لنسائهم بالخروج مكشوفات الأذرع، أوَليسوا هم مسلمين؟»[١].

كما لا تنتهي هذه الفقرة دون التعريج على فئة من المسلمين القلقين؛ الذين وجدوا في الغرب مأوىً لهم، بعد أن ضيَّقت عليهم بلدانهم بحقٍّ أو دون وجه حقٍّ. ويغلب عليهم الغلو في الدين وإظهار المعارضة لأوطانهم الأم، فتتلقَّفهم دول الغرب بحُجج مختلفة، منها استخدام أسلوب حقِّ اللجوء السياسي أو حقوق الإنسان، فيسيء هؤلاء إلى الإسلام وإلى بلاد الإسلام، بل ربَّما كان فهمهم للدين قاصراً، ويسيئون كذلك إلى ثقافة البلاد التي آوتهم، ويتصرَّفون تصرُّفات طاردة عن الدين، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ويكوِّنون لهم أتباعاً من الجاليات الإسلامية ومن الداخلين الجدد في الإسلام، حتَّى إذا ما ظهر عليهم ما يهدِّد الأمن

---

(١) انظر: مراد هوفمان: الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

الوطني، أو استنزفوا كورقة تهديد تستخدم ضدَّ بلدانهم، انقلبت عليهم البلاد التي آوتهم، وصادرت مقتنياتهم الوثائقية والمالية، واحتجزتهم أو طلبت منهم المغادرة إلى أي مكان يرتضونه، فيتبيَّن لهم الأمر بعد فوات الأوان.

هذه الفئة من المسلمين ممن يعيشون في الغرب لا تعين على صناعة الوئام، ولا تستغلُّ وجودَها في الغرب لتعمل على تقوية مقوِّمات الالتقاء بين الثقافات، بل ربَّما أساءت إلى ثقافتها وإلى الثقافة التي آوتها بلدانُها، فأعانت غيرها على تقديم صورةٍ مشوَّهة عن الإسلام والمسلمين، فكانت، دون قصد مباشر منها، عاملاً من عوامل صناعة الكراهية. ونماذج هذه الفئة في البلاد الغربية كثيرة.

منهج حسن الخُلُق

والأصل في الثقافات أنْ تكونَ حاثَّةً على حسن الخلُق، وأنْ يكون جانبُ الشرِّ فيها محدوداً مذموماً، بحيث تُبنى الأمم على أُسس أخلاقية، تمليها الثقافة

المستمدَّة من أصول عريقة، لا تأثيرَ للهوى فيها. ولذا فإنَّ تحوُّل أيِّ ثقافة إلى الأبعاد غير الأخلاقية في بناء المجتمعات يعدُّ خروجاً عن الأهداف السامية لهذه الثقافات[1].

يعني هذا أنَّ مسألة السلوكيات غير الأخلاقية، بما في ذلك التميز العنصري، والتطهير العرقي، وادِّعاء تفوُّق جنس على آخر أو على أجناس أخرى، هي جزء من حياة الأمم، على اعتبار أنَّ هناك صراعاً دائماً بين الخير والشر. وإنَّما المعوَّل عليه في الثقافات البنائية هو تضييق الخناق على هذه السلوكيات، وجعلها في حكم الشاذ. يقول مراد هوفمان: «يستطيع المسلمون أنْ يقولوا ويفخروا أنَّه، بالرغم من رفضهم للصهيونية وللتوسُّع الإسرائيلي، فإنَّ بلادهم لم تشهد على مرِّ التاريخ إلى يومنا هذا أيَّ عداء للسامية. ولا يعود هذا إلى أنَّ العرب أنفسَهم ساميُّون، ولكنْ لأنَّ القرآن يطالب كلَّ مسلم

(١) انظر: سامي خشبة: نقد الثقافة، القاهرة، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، ٢٠٠٤م. ص ١٩٩ ـ ٢٠٦، (سلسلة مكتبة الأسرة؛ الأعمال الفكرية).

باحترام غيره من أصحاب ديانات التوحيد السماوية»[1].
وما يُطالب به القرآن الكريم طالبت به، كذلك، الكتب السماوية الأخرى المنزَّلة قبله.

منهج الاختلاف

مع هذه الأصول، فإنَّه يدخل معها أصلٌ محفِّزٌ لها، وهو وجود الاختلاف بين الأمم، ومن ثمَّ الاختلاف بين الثقافات، ولا يعني هذا الاختلاف، بالضرورة، الخلاف والتضادَّ والتخاصُم بينها، كما أنَّ الاختلاف من حيث المفهوم لا يعني التماثُل. لذا فإنَّ الاختلاف سنَّة كونية من سنن الله تعالى في هذا الكون.[2] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١/١١٨-

(١) انظر: مراد هوفمان: الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود، مرجع سابق، ص ١٩١.

(٢) انظر: باسم خفاجي: لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام ﷺ، الرياض، مجلة البيان، ١٤٢٧هـ. ١٢٤ ص، (سلسلة كتاب البيان؛ ٧٧).

١١٩]. «وهو في حدِّ ذاته أحد موجبات التدافُع والتسابُق، الذي به يجابَه الفساد ويحقَّق في الكون الإصلاح، وتتمُّ به الخيرات»[١].

هذا الاختلاف الطبيعي الذي تمليه النظرة الوسطية يقوم على ركيزتين أساسيتين: «أولاهما: المشترك الإنساني العامّ، وهو ما يتمثَّل في حقائق وقوانين العلوم الموضوعية والطبيعية والمحايدة، التي لا تتبدَّل قوانينُها بتبدُّل العقائد والحضارات الخاصَّة بالباحثين فيها، المنتفعين بها. وثانيتهما: الخصوصيات الحضارية، المتمثِّلة في الهويَّات والثقافات والعقائد والفلسفات، وميادينها العلوم الإنسانية والاجتماعية والآداب والفنون والعادات. وهي تلك المتغيِّرات، وفقاً للأنساق الفكرية»[٢].

بين المشترك الإنساني العام والخصوصية الحضارية

---

(١) انظر: مُحَمَّد جلاء إدريس: العلاقات الحضارية، مرجع سابق، ص ١٠٧.

(٢) انظر: مُحَمَّد جلاء إدريس: العلاقات الحضارية، المرجع السابق، ص ١٠٨ ـ ١٠٩.

تبقى الثقافة مميِّزاً من مميِّزات الأمم. ولا يتوقَّع أفول الثقافة أو أفول الخصوصية الثقافية، في ضوء التوجُّه إلى عولمة الكون، مهما كان الضخُّ النظري المنبهر بالدعوة إلى عولمة كلِّ مناحي الحياة، بما فيها الأبعاد الثقافية. ولا يتوقَّع أنْ تتنازل الأممُ عن مقوِّمات ثقافاتها، استجابة للدعوة إلى العولمة الشاملة ذات الاتِّجاه الواحد، الذي يريد أنْ يملي ولا يقبل أنْ يُملى عليه، وعولمة كهذه يُشكُّ في فاعليتها وشموليَّتها على المدى البعيد[١].



(١) انظر: الثقافة الوطنية بين الخصوصية والعولمة، ص ١٦٧ - ١٩٥، في: إبراهيم بدران: أفول الثقافة، بيروت، المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢م. ٢٩٦ ص.

الفصل الثالث

وسائل صناعة الكراهية بين الثقافات

تتعدَّد وسائلُ الحوار والتعارُف بين الأمم؛ من هذه الوسائل ما هو إيجابي، ومنها ما هو سلبي. وكلٌّ هذه الوسائل تتمحور حول مفهوم الحوار بين الثقافات. قد يكون هذا الحوار مباشراً وظاهريّاً، وقد يكون خلاف ذلك، بحيث يأخذ أساليبَ غيرَ تقليدية وربَّما غير إيجابية في الحوار، كالحروب والإرهاب والاستعمار والتنصير (التبشير) والتغريب والتفرقة العنصرية.

وقد سعى الباحث إلى رصد بعض هذه الوسائل على أنها محدِّدات، وأوصلها إلى سبعة عشر محدِّداً، هي على النحو الآتي:

الجهوية أو الجغرافية، الإرهاب والعنف، الحقوق والواجبات، العرقية والإثنية، الحروب والاجتياحات،

اليهودية والصهيونية، الاستعمار والهيمنة، التنصير والمنصِّرون، الاستشراق والمستشرقون، الاستغراب والمستغربون، التغريب والمتغرِّبون، الاغتراب والمغتربون، البعثات التعليمية، العلمنة والعلمانيون، العولمة والمتعولمون، الإعلام وتقنية المعلومات، الحوار الثقافي[١].

ويأتي الاقتصاد، من حيث كونُه محدِّداً من محدِّدات العلاقة بين الشرق والغرب، ضمن المحدِّد الخامس عشر (العولمة والمتعولمون)، على اعتبار أنَّ انطلاقة العولمة بدأت من البُعد الاقتصادي. ويمكن أنْ يُنظر إلى هذه المحدِّدات على أنها عوامل قد أسهمت في مجملها، ومن وجه من الوجوه لهذه المحدِّدات، في صناعة الكراهية بين الأمم، لاسيَّما بين الشرق الإسلامي والغرب القائم على الثقافة النصرانية أو المسيحية ثم شيء من الثقافة اليهودية.

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة: الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدِّداتها، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م. ١٧٣ ص.

وجاء الحوار الثقافي في ذيل القائمة (المحدِّد السابع عشر)؛ لأنَّه عند الباحث هو المحصِّلة النهائية لهذه المحدِّدات. ولم يأتِ متأخِّراً للتقليل من أهميَّته، بل إنَّ هذه الأهمية هي مما تجاوزه المفكِّرون في العلاقات الدولية من المسلمين وغير المسلمين من معتدلي الغرب، ممَّن يميلون إلى ترسيخ مفهوم التلاقي، أخذاً في الحسبان وجود وجوه اختلاف، لا بُدَّ من التعايُش معها وجعلها من محفِّزات التلاقي لا من مقوِّمات التضادّ، كما مرَّ ذكره في الفصل السابق، إذ لا يحتمل العالم اليوم النظر في عوامل التضادّ والاختلاف بقدر ما هو بحاجة حيوية إلى عوامل التعارُف والتلاقي.

هذا لا يُغفل ما يتعرَّض له الشرق الإسلامي من صنوف الهيمنة العسكرية والفكرية التغريبية، والتأييد الغربي لكلِّ ما يسهم في زعزعة المنطقة العربية والإسلامية. فلا تتَّفق هذه الطروحات مع مَن بدا عليهم قدرٌ عالٍ من اليأس والقنوط، فسعوا إلى أنْ يجعلوا من الدعوة إلى الحوار للتلاقي دعوةً إلى الخضوع والهوان والانهزامية، والنزوع إلى التسويغ والتهوين من المآسي

التي تعرَّض لها الشرق بفعل الغرب، ولا يزال يتعرَّض لها، ففرْقٌ بين هذا وذاك.

الذي يبحث عن صنوف التلاقي يجدها، كما أنَّ الذي ينشدُ صنوف الافتراق يجدها. وهذا هو جوهر التحدِّي الذي تواجهه ثقافات اليوم وشعوب الحاضر(١). وهذا مما يجعل مسألة الحوار بين الثقافات بين مدٍّ وجزر، على اختلاف الرؤية للحوار. ولا أحسب أننا مدعوون ثقافياً إلى أنْ نتترس وراء أيِّ أعذار أو تسويغات أو أننا بحاجة إليها، مهما كانت درجة قوَّتها، في سبيل أنْ نقوِّض مشروعاً حضارياً كالحوار، الذي يمثِّل السبيل الناجع للتعارُف بدلاً من ترويج التباعد بالتصارُع أو التصادُم الثقافي.

الاستشراق وصناعة الكراهية

إذا سلَّمنا بأنَّ الاستشراق هو أحد المحدِّدات المهمَّة في العلاقات بين الثقافات، لاسيما في العلاقات بين

---

(١) انظر: مصطفى عبدالغني: حقيقة الغرب بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية، القاهرة، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، ٢٠٠١م. ١٧٦ ص، (سلسلة مكتبة الأسرة، الأعمال الخاصَّة).

الشرق الإسلامي والغرب المسيحي فإنَّ هذا يعني إعطاء هذا المحدِّد القيمة الفعلية التي يُنظر من خلالها إلى إسهاماته في التقريب بين الثقافات، أو في الإسهام من جانب آخر في تأصيل مفهوم الافتراق والتضادِّ والتناحُر بين الثقافات.

المفكِّرون العرب والمسلمون الذين يدرسون الاستشراق بعمق وبمتابعة مباشرة لإسهاماته الثقافية لا يستعجلون التعميم في الحكم عليه كلِّه، على أنَّه كان طرَفاً مباشراً في صناعة الكراهية. فالأمر يقتضي هنا قدراً من التفصيل. وقد طال التنقيب عن المستشرقين المنصفين مع أنَّهم موجودون، ولا يسوِّغ نسيان إسهاماتهم في توعية بني قومهم عن حقيقة الثقافة الإسلامية ويُبعدها عمَّا ألصقه بها إخوةٌ لهم من المستشرقين، من كون هذه الثقافة تمثِّل الخطر الأخضر الجديد[1]، بعد تراجُع الشيوعية عن التأثير، ودعوتهم

(١) انظر: هل يكمن بعد الخطر الأحمر (الخطر الأخضر)؟ ص ٢٤١ ـ ٢٥٣، في: بيير بيارنيس: القرن (الحادي والعشرون) لن يكون أمريكيّاً/ ترجمة مدني قصري، بيروت، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣م. ٣٤٦ ص.

لهم إلى أنْ يخلعوا عنهم لباس التعصُّب، الذي يحجب النظرة الموضوعية لثقافة تنتشر بشكل ملحوظ، (آنا ماري شيمّل ١٩٢٢ ـ ٢٠٠٥م، وزيغريد هونكه ١٩١٣ ـ ١٩٩٩م، وفريتس شتيبات ١٩٢٣م ـ ويوسف فان أس ١٩٣٤م ـ، ولزلي ماكلوكلن، وجون إسبوزيتُّو، وفريد هاليداي، وديفيد كنج، وإدوارد كينيدي، وغيرهم كثير من المتأخِّرين، نماذجَ)،[1] وأنَّ مسألة الخطر الإسلامي والخوف من الإسلام Islamophobia لا تتعدَّى كونها وهماً من الأوهام التي يروِّج لها بعض المتنفِّذين السياسيين من المستشرقين، وغيرهم من كبار المستشارين لصنَّاع الفكر وصنَّاع القرار[2]. يأتي ذلك في ضوء التوجُّه إلى التوكيد على وجود مستشرقين مغرضين كان لهم أثر واضح وملموس في صناعة الكراهية.

يقول جون إل. إسبوزيتُّو: «إنَّ التصوُّر عن الإسلام

---

(١) انظر: فريتس شتيبات: الإسلام شريكاً: دراسات عن الإسلام والمسلمين، مرجع سابق، ٢٠٦ ص.

(٢) انظر: جون إسبوزيتو: الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع/ ترجمة هيثم فرحت، اللاذقية، دار الحوار، ط٣، ٢٠٠٢م. ٣٣٣ ص.

بصفته خطراً كامناً على الغرب المسيحي، وقوّةً رجعيةً، وبالتالي مصدراً لتخلُّف المسلمين وانحطاطهم، هيمن على وجهة النظر العالمية المتمثّلة بالاستعمار الأوربّي، فوفَّر بذلك مسوّغاً منطقيّاً جاهزاً لـ(التاج والصليب). وأصبح المسؤولون الاستعماريون والبعثات التبشيرية المسيحية جندَ المشاة للتوسُّع الأوربّي والهيمنة الإمبراطورية على العالم الإسلامي؛ تحدَّث البريطانيون عن "عبء الرجل الأبيض"، والفرنسيون عن "بعثتهم التبشيرية في التمدُّن". فمع انتقال ميزان القوى والزعامة من العالم الإسلامي إلى أوربَّة، نظر إلى العصرنة ليس بصفتها نتيجةً للأوضاع التي ولَّدت حركة التنوير والثورة الصناعية وحسب، بل للتفوُّق المتأصِّل بالمسيحية بصفتها ديناً وثقافة»[1].

يؤيِّد جون إل. إسبوزيتو المستشرقُ الألمانيُّ فريتس شتيبات في هذا المفهوم بقوله: «إنَّ الإسلام لا يمثِّل تهديداً للعالم، بل العكس من ذلك هو الصحيح؛

(١) انظر: جون إسبوزيتو: الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع، المرجع السابق، ص ٦١ ـ ٦٢.

فالكثير من المسلمين يشعرون في عالمنا الحاضر بأنهم مهدَّدون. ربَّما يتسبَّب هذا الشعور في ظهور بعض الاتِّجاهات اللاعقلية أو التصرُّفات العدوانية. ولكننا إذا اعتبرنا أنَّ الأصولية الإسلامية هي ردُّ فعلٍ لموقف تاريخي محدَّد، فلا يجوز أنْ نتوقَّع لها أنْ تفقد أهميَّتها وتأثيرها قبل أنْ يتغيَّر الموقف تغيُّراً جذريّاً»[1].

كما يؤيِّدهما المستشرق البريطاني فريد هاليداي في هذا التوجُّه، على الرغم من المقولة التي يبحث فيها الغرب عن عدوٍّ ربَّما وجده في المسلمين[2].

إنَّ اتِّباع سياسات وأفكار وضغوط وتهديدات غربيَّة ضدَّ الإسلام والمسلمين، بوصفه تهديداً للغرب من المنظور الغربي، يراه المسلمون خلاف ذلك. فمستقبل الإسلام بوصفه شريكاً وندّاً في الحوار لن يتأثَّر سلباً بهذه السياسات، ولا ببيئة الكراهية الناجمة عنها، فالنقاش بين

---

(١) انظر: عشر قضايا عن الأصولية الإسلامية، ص ٧٩ ـ ٨٣. والنصُّ من ص ٨٣، في: فريتس شتيبات: الإسلام شريكاً: دراسات عن الإسلام والمسلمين، مرجع سابق، ٢٠٦ ص.

(٢) انظر: فريد هاليداي: مئة وهم حول الشرق الأوسط، بيروت، دار الساقي، ٢٠٠٦م. ص ٦٠ ـ ٦١.

المسلمين لا يدور حول نبذ الغرب من حيث المبدأ، بل إنه يدور حول ما يؤخذ من الغرب أو يردُّ[١].

تصنيف المستشرقين

تقتضي هذه النظرة في أثر الاستشراق في صناعة الكراهية بين الثقافات تصنيف المستشرقين إلى فئات، من حيث الزمانُ أوّلاً، ثم من حيث المدارسُ الاستشراقية ومدى القُرب النسبي لهذه الفئات والمدارس من الإنصاف، كالمدرسة الألمانية[٢]، وبُعدها عنه كالمدرسة الفرنسية، أخذاً في الحسبان أنَّ المستشرق نفسه يظهر

---

(١) انظر: طلال عتريسي: صورة الإسلام: مسؤولية الغرب والمسلمين، ص ٢٥٦ ـ ٢٨٢. والنصُّ من ص ٢٦١ ـ ٢٦٢، في: أبو يعرب المرزوقي وآخرون: مستقبل الإسلام، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ٢٦٨ ص.

(٢) سعت ألمانية إلى استعمار أفريقية المسلمة، وأحدثت حلقة بحث الدراسات الشرقية يتلقَّى الدبلوماسيون وموظفو الإدارة الشبَّان فيها تدريباً عمليّاً من أجل حياتهم المهنية. انظر: بابر يُهنسن. الدراسات الإسلامية: الشروط الفكرية والسياسية لفرع معرفي، ص ٤٠ ـ ٤١، في: يوسف كرباج ومنفرد كروب، مشرفان: تأمُّلات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضره، مرجع سابق، ١٤٠ ص.

تارةً منصفاً، ويظهر تارةً أخرى في تقويمنا له غيرَ منصف (مونتجمري وات، ١٩٠٩م - نموذجاً)، فما كان مونتجمري وات منصفاً لسيرة رسول الله ﷺ عندما زعم أنَّ مُحَمَّداً - عليه الصلاة والسلام - هو مؤلِّف القرآن الكريم، في كتابه مُحَمَّد النبي والقائد، ثم عاد إلى الإنصاف في هذه المسألة، واعترف، في كتاب متأخِّر له بعنوان: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، بأنَّ هذا القرآن ليس من صنع محمد ﷺ، وإنْ يكُن قصر في التصريح بأنَّ القرآن الكريم وحي من الله تعالى[1].

واقع الحال أنَّ هناك فئةً معتبرة من المستشرقين كانت لهم جهود واضحة في صناعة الوئام بين الثقافات، وكانوا وسائط لتعريف الغرب بالثقافة الإسلامية تحديداً، من خلال الدراسات والبحوث والترجمة والنقل وحفظ التراث العربي الإسلامي وفهرسته وتصنيفه وترميم المعطوب منه. ولا ينبغي التغاضي عن هذه الجهود

---

(١) انظر: مُحَمَّد عمارة: الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، القاهرة، دار الشروق، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م. ص ١٥٩ - ١٧٨.

الواضحة، كما أنَّه لا ينبغي الالتفاف على هذه الجهود والحطُّ من قدرها[١]، والزعم بأنَّها لم تكن صادرة عن قصد نبيل، والزعم بأنَّ ما قام به المستشرقون من جهود موضوعية كان لخدمة أغراضهم الأخرى[٢].

وإنْ وجد هذا الهاجس فقد تمخَّض عنه نفع للتراث المخدوم. يقول مُحَمَّد عوني عبدالرؤوف، وهو يترجم للمستشرق الألماني الشاعر فريدريش ريكرت: «واهتمَّ المستشرقون الإنجليز آنذاك أيضاً بعد احتلال كلكتَّا عام ١٧٥٧، بعلوم الاستشراق اهتماماً كبيراً، فنشطت حركة الترجمة وحركة تحقيق النصوص الإسلامية والهندية القديمة، كي يعرفَ رجال الإدارة الإنجليزية طبيعة الشعب الذي يحكمونه وعقليته».[٣]

---

(١) انظر: السيد مُحَمَّد الشاهد: الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، الاجتهاد، ع ٢٢ (شتاء العام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م). ص ١٩١ ـ ٢١١.

(٢) انظر: يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ص ٥٥ ـ ٦١.

(٣) انظر: مُحَمَّد عوني عبدالرؤوف: فردريش ريكرت: عاشق الأدب العربي، بيروت، مكتبة الآداب، ط٢، ٢٠٠٦م. ص ٢٠.

منهج السماحة

أمّا من حيث الزمانُ فإنَّ طلائع المستشرقين لم تكن في الإجمال إيجابية مع الثقافة الإسلامية، ذلك أنها كانت قد ولدت في حقبة كانت فيها أوربَّة تعيش حالة من الفوضى الحضارية، شاع فيها الإقطاع من ناحية، وشاعت فيها سيطرة مصالح الكنيسة من ناحية أخرى، فكان أنْ شعرت طلائع المستشرقين بأنَّ الإسلام الذي بدأ ينتشر بقوَّة، بفعل التأثير المباشر السمح في الأمم لا بفعل السيف، كما زعموا، مما هدَّد مصالحَ خاصَّةً كان يتبوَّؤها قسمٌ من رجال الدين، غير السمحين، الذين كانوا يدَّعون أنهم يمثِّلون الربَّ، ومارسوا دور الوسيط بين الربِّ والعباد فحقَّقوا من وراء ذلك مصالحَ ذاتية، كانت بعيدة عن مفهوم السماحة[1].

---

(١) يصرُّ رضوان السيِّد على أنَّ المصطلح "التسامُح" دخيل من حيث اللفظ ومن حيث المفهوم، فالتسامُح لا يُقصد به سماحة الإسلام، لكن الأصولية الإسلامية سرَّت باللفظ وصارت تتناقش حوله من مفهوم: كم هو الإسلام متسامح! انظر: رضوان السيِّد وآخرون: من التسامُح إلى احترام الآخر، ص ٢٨٥ - ٣٠٩، في: عبدالجبَّار الرفاعي، معدّ: التسامُح ليس منَّةً أو هبة، بيروت، دار الهادي، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. ٣٤٣ ص.

بينما جاءت الثقافة الإسلامية لتلغي هذه الواسطة وتجعل الصلة بين العبد وربِّه مباشرة دون عون من أحد سوى العلم القائم على كتاب الله تعالى وسنة نبيِّه مُحَمَّد بن عبدالله ﷺ. وتجعل السماحة محدَّدة بضوابطها، وليس تلك السماحة غير المحدودة التي تدمِّر السماحة بصفتها منطلقاً للعلاقة بين المسلمين أنفسهم وبينهم وبين غير المسلمين (الآخر).

يقول عصام عبدالله: «لم يكن معظم المنادين بالتسامُح مستعدِّين للسير بهذا المبدأ حتَّى نهاية الشوط، أو في كلِّ الاتِّجاهات، وعلى كافَّة الصُّعُد، فـ (جون لوك)، أكبر المؤيِّدين لمبدأ التسامُح، وضع مجموعة من الضوابط من يتعدَّاها لا يمكن التسامُح معه بأيِّ حال:

١ـ الترويج لمعتقدات وأصول تهدِّد بنسف المجتمع نفسه.

٢ـ الترويج للإلحاد.

٣ـ الأفعال التي تهدُف إلى تدمير الدولة، أو التعدِّي على أموال الآخرين.

٤ـ الولاء للحكّام الخارجيين (الخيانة)»[١].

جاء المستشرقون في هذه الحقبة ليقدِّموا المعلومة الخاطئة عن الثقافة الإسلامية لبني قومهم، «فقد أصبحت رؤى المستشرقين تتسلّل إلى العقول الأوربّية؛ لأنّهم خبراء في شؤون الدين والمجتمعات الإسلامية، واكتسبوا ثقة الإنسان الغربي؛ لما يمثّلونه من علم وخبرة نادرة»[٢]. ومع تسلُّلها إلى العقول الأوربّية تسلّلت من خلال النقل والترجمة للآثار الاستشراقية الغربية إلى بعض العقول الآسيوية، لاسيّما في روسية، حيثُ مرّت المعرفة الإسلامية في البداية عن طريق المصفاة الأوربّية الغربية، ولذلك جاء معظمها مشوّهاً بعيداً عن الموضوعية العلمية. هذا من جهة، ومن جهة ثانية لقد أرادت روسية الاستعانة بوجهة النظر الأوربّية الغربية عن

---

(١) انظر: عصام عبدالله: التسامُح، القاهرة، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ٢٠٠٦م. ص٣٠ ـ ٣٦، (سلسلة مكتبة الأسرة).

(٢) انظر: حاتم الطحاوي: الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية (مُحَمَّد خليفة حسن)، الاجتهاد، ع ٥٠/ ٥١ (ربيع وصيف العام م-٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ). ص ٣٢١ ـ ٣٣٥، والنصُّ من ص ٣٢٤.

الإسلام؛ لكي ترتكز على مستندات فكرية توظّفها الأرثوذوكسية المسيحية الفكرية ضدَّ الدوغمائية الإسلامية التترية»، على حدِّ قول سهيل فرح[١].

يقول خلف الجراد في كتابه: (أبعاد الاستهداف الأميركي): «ومثلما كان هناك ارتباط عضوي بين الحروب المسمّاة (صليبية) والاستعمار الغربي المباشر للعرب والمسلمين، في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والشعارات الدينية المسيحية والمدرسة الاستشراقية التقليدية، فإنَّ المدرسة الاستشراقية الجديدة بأدواتها المعرفية المتطورة، وصلاتها الفكرية والأكاديمية والسياسية بالاستراتيجية الأميركية، تحوَّلت بالفعل إلى أبرز لاعب في توجُّهات النخب السياسية والعسكرية في الولايات المتحدة الأميركية»[٢].

---

(١) انظر: سهيل فرح: الاستشراق الروسي: نشأته ومراحله التاريخية، الفكر العربي، ع ٣١ /مج ٥ (كانون الثاني/يناير ١٩٨٣م). ص ٢٢٥ ـ ٢٦٦.

(٢) خلف الجراد: أبعاد الاستهداف الأميركي، مرجع سابق، ص ١١٤.

المزالق اللفظية

من المزالق اللفظية التي وقعت بها الإدارة الأمريكية نهار الهجوم على مركز التجارة العالمي في نيويورك ومبنى وزارة الدفاع في العاصمة واشنطون يوم الثلاثاء ٢٢/ ٦/ ١٤٢٢هـ الموافق ١١/ ٩/ ٢٠٠١م، (الحرب الصليبية المختلفة، ومن لم يكن مع النسر افترسه النسر[١]، وإمَّا معنا أو مع الإرهاب، ومن ليس معي فهو ضدِّي)[٢]، ما ينبئ عن مكنون فكري وعاطفي كامن في اللاشعور أو في العقل الباطن، على رأي سيجموند فرويد (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩م). أوقعت فلتاتُ اللسان هذه الإدارةَ في مأزق حضاري، وفتح المجال لمزيد من الغوص في ارتباط الاستشراق في الحرب على

---

(١) انظر: حسن الأمراني: أيُّها الغرب أين مشرقك؟ ص ١١٣ ـ ١١٧، في: مصطفى سلوي: الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة: يوم دراسي، وجدة، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٣م. ١٦٦ ص.

(٢) العبارة الأخيرة مقتبسة من إنجيل متَّى: الإصحاح ١٢:٣٠. وعبارتها: «من ليس معي فهو عليَّ ومن لا يجمع معي فهو يفرِّق».

الإرهاب، وضلوع الاستشراق السياسي في هذه الحملة وتوجيهها، ليس للحرب على الإرهاب فقط[١]، ولكن للحرب على المسلمين، لا حرباً عسكريةً مباشرةً، بل حرباً شاملةً على مختلف الصُّعُد[٢]. بما في ذلك الاعتداء على الجمعيات الخيرية باتِّهامها بضلوعها في تمويل الإرهاب، الأمر الذي ثبت قانونيّاً عدم صحَّته، بعدما تمَّ التضييق الغربي على هذه الجمعيات الخيرية الإسلامية، وتأثَّرت ضحايا بريئة بالحرب على الإرهاب[٣].

أتاح هذا الموقفُ المتمثِّل في فلتات اللسان المجالَ

---

(١) تنازل الغرب عن مفهوم الحرب على الإرهاب، وجرى تعميم هذا التنازُل على الأوساط الدبلوماسية الغربية، لاسيَّما الأمريكية منها.

(٢) انظر: محمد الكوش: الثابت والمتحوِّل في الخطاب الاستشراقي بعد أحداث ١١ شتنبر، ص ٥٣ ـ ٧٢، في: مصطفى سلوي: الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة: يوم دراسي، مرجع سابق، ١٦٦ ص.

(٣) انظر: مُحَمَّد بن عبدالله السلُومي: ضحايا بريئة للحرب على الإرهاب، [لندن: المنتدى الإسلامي]، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ٣٠٤ ص، (سلسلة كتاب البيان؛ ٦٣).

للتساؤل حول هذه الحرب القائمة الآن بأنها، مع محاولات تجنُّب الاتِّهام الجماعي للمسلمين، حرب على الإسلام والمسلمين أكثر من كونها حرباً على الإرهاب[١]، الذي لا يحمل هوية ولا يؤمن بالجهوية[٢].

يقول طلال عتريسي: «إنَّ خوف المسلمين من الغرب أو كراهيتهم له أو لسياساته أو ثقافته لم يدفعهم للإساءة إلى المسيحية، بينما لم يتورَّع - وللأسف - كثير من الغربيين، أن ومن مواقع فكرية وسياسية رسمية في بعض الأحيان، وفي أكثر من مناسبة؛ عن التعريض بالإسلام نفسه بوصفه ديناً يحضُّ على التخلُّف ويحرِّض أتباعه على العنف وعلى كراهية الآخر»[٣].

---

(١) انظر: أكبر أحمد: الإسلام تحت الحصار/ ترجمة عزَّت شعلان، بيروت، دار الساقي، ٢٠٠٤م. ص ٥٣.

(٢) انظر: حسن الأمراني: أيُّها الغرب أين مشرقك؟ ص ١١٣ ـ ١١٧، في: مصطفى سلوي: الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة: يوم دراسي، المرجع السابق، ١٦٦ ص.

(٣) انظر: طلال عتريسي: صورة الإسلام: مسؤولية الغرب والمسلمين، ص ٢٥٦ ـ ٢٨٢، والنصُّ من ص ٢٦١ ـ ٢٦٢، في: أبو يعرب المرزوقي وآخرون: مستقبل الإسلام، مرجع سابق، ٢٦٨ ص.

الإشكالية في الذهنية الغربية في علاقتها مع الإسلام أنها عقلية لا تزال تستحضر حروب الفرنجة (الحروب الصليبية)، كلَّما قامت فتنة بين الشرق الإسلامي والغرب، فتُحدَّد بموجبها العلاقات المشتركة بين المسلمين والغربيين، كما يقول محمد أسد[١]، ويوافقه على هذا مراد هوفمان. ففي سبيل ترسيخ الكراهية أُريد لهذه العلاقة أنْ تقوم على معلومات مغلوطة عن الإسلام والمسلمين، لنشر الجهل بكل ما هو إسلامي، وحجب المعلومات الصحيحة، ونشر معلومات مغلوطة عن المسلمين[٢]. وتتحمَّل هذه السياسات والحروب مسؤولية مباشرة في (تهيئة كراهية) الغرب في العالم الإسلامي، مما أوجد مسوِّغاً لدى بعض المسلمين لأي سلوك عدواني مباشر مضاد للرموز الغربية، بشريةً كانت أم مادِّية. يعني هذا أنَّ كراهية الغرب من قبل بعض

(١) انظر: صلاح عبدالرزَّاق: المفكِّرون الغربيون المسلمون: دوافع اعتناقهم الإسلام، مرجع سابق، ٢: ٢٦٤.

(٢) انظر: مراد هوفمان: الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود، مرجع سابق، ص ٧٠.

المسلمين ليست كراهيةً ثقافية؛ إذ إنَّ مصدرها سياسي[١].

المعلوم في تاريخ حروب الفرنجة كما سمَّاها المسلمون، الصليبية كما سمَّاها الغربيون، أنها اصطحبت معها على امتدادها لمئتي سنة (٤٩١ ـ ٦٩٠هـ الموافق ١٠٨٩ ـ ١٢٩١م) المستشرقين الرحَّالة الذين كان لهم أثر في تصوير الشرق، إيجاباً أو سلباً، من أمثال الرحَّالة فوشيه دو شارتر، وويلبراند الأولدنبوري، وثييتمار، وجيمس الفيتري، وبوركهارد، وبنيامين التطيلي، وغيرهم، وكان هؤلاء قد قدَّموا صوراً مشرقة عن التعايُش بين المسلمين وغير المسلمين في الحواضر الإسلامية[٢].

يعني هذا التوكيدَ على عدم التعميم في مواقف المستشرق الواحد، ففي هذا الجوِّ المشحون بالتحدِّي

(١) انظر: طلال عتريسي: صورة الإسلام: مسؤولية الغرب والمسلمين، ص ٢٥٦ ـ ٢٨٢، في: أبو يعرب المرزوقي وآخرون: مستقبل الإسلام، مرجع سابق، ٢٦٨ ص.

(٢) انظر: قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. ص ٢٠٠ ـ ٢٠١، (سلسلة عالم المعرفة؛ ١٤٩).

والعداوات والكراهية والحروب السجال، يظهر مستشرقون الأصل فيهم أنَّهم مناصرون لبني قومهم في حملاتهم بفكرهم وعلمهم، وهكذا كانوا، إلا أنهم مع هذا لم يستطيعوا إغفال الواقع التعايُشي في تلك الحواضر الإسلامية.

في الجانب الآخر من مهمّات المستشرقين يقرِّر نجيب العقيقي أنَّ طلائع المستشرقين قد انطلقت من الكنائس والأديرة، حيث يذكر صاحبُ أفضل موسوعة ضافية عن الاستشراق والمستشرقين، أنَّ الاستشراق قد بدا «أكثر تنظيماً وانتشاراً واستمراراً بالفاتيكان، بابوات وأساقفة ورهباناً، واصطناع نفوذهم في سبيله لدى الملوك والأمراء والبلديات، والإفادة منه في الردِّ على البروتستانتية بعد انفصالها عنهم مما جعله لغايات منوَّعة، وبوسائل متعدِّدة، في أرجاء واسعة. كان رجال الدين المسيحي - ومرجعهم الفاتيكان يومئذٍ - يؤلِّفون الطبقة المتعلِّمة في أوربة، ولا سبيل لهم إلى إرساء نهضتها إلا على أساس من التراث الإنساني الذي تمثِّله الثقافة العربية، فتعلَّموا العربية، ثمَّ اليونانية، ثمَّ اللغات الشرقية

للنفوذ منها إليه»[١]. وقصد قومٌ منهم المغربَ الإسلامي لمجادلة المسلمين. واختصَّ آخرون بأن يكونوا أدلاَّء لقاصدي فلسطين، في رحلات لها قدسيَّتها، يطلقون عليها الحجّ إلى الديار المقدَّسة، القدس وبيت لحم والناصرة والخليل، وغيرها من حواضر فلسطين. جاء هذا الهدف الرئيسي حائلاً لرهط من هؤلاء المستشرقين بين إقامة جسور ثقافية بين أوربَّة والشرق الإسلامي.

استقلالية المستشرقين

إلا إنَّ الاستشراق يمتدُّ بعد ذلك ويتخلَّى عددٌ من المستشرقين عن هيمنة الهاجس الديني، القائم على صناعة الكراهية تجاه المسلمين، على الرغم من تجدُّد العودة إلى الأصولية الدينية المسيحية واليهودية، بالمفهوم الآخر للأصولية، وليس بمفهوم المسلمين لها[٢]، وسيطرتها على الخطاب السياسي؛ لتحقيق أغراض

---

(١) انظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، مرجع سابق، ١: ٨٧ ـ ١٢٥.

(٢) انظر: عشر قضايا عن الأصولية الإسلامية، ص ٧٩ ـ ٨٣، في: فريتس شتيبات: الإسلام شريكاً: دراسات عن الإسلام والمسلمين، مرجع سابق، ٢٠٦ ص.

سياسية واقتصادية، من قِبَل جماعات متشدِّدة، استطاعت التأثير في صناعة القرار في بعض الدول الغربية، كما يقول جورج قرم في كتابه الصادر أخيراً بالفرنسية بعنوان: المسألة الدينية في القرن الحادي والعشرين[١].

بدت على بعض هؤلاء المستشرقين بوادر الاستقلالية عن الهاجس الديني الأصولي، ووصف بعضهم بالعلمنة، وأنَّهم يرغبون في أنْ يكونوا أكثر موضوعية من أسلافهم، ومن ثَمَّ رغبوا في عدم الخوض في الشأن الديني، الذي بدا أنَّه هو المحفِّز لصناعة الكراهية، فاشتغل رهطٌ منهم بالشأن الاجتماعي، من خلال تحليل المجتمع المسلم، إلا أنَّ تحليل المجتمع المسلم أنثروبولوجياً لا يستطيع أنْ يستغني عن توظيف الإسلام في هذه الدراسات[٢].

(١) انظر: جورج قرم: المسألة الدينية في القرن الحادي والعشرين، باريس، ديكوف، ٢٠٠٦م. (بالفرنسية)، نقلاً عن عمر كوش: (المسألة الدينية في القرن الحادي والعشرين) قضية يعالجها كتاب جورج قرم، الحياة، ع ١٥٩٨٩ (١٣/١/٢٠٠٧م - ٢٤/١٢/١٤٢٧هـ). ص ٢٤.

(٢) انظر: أبو بكر باقادر: الأنثروبولوجيا والاستشراق، الاجتهاد، ع ٤٧/٤٨ (صيف وخريف العام ٢٠٠٠م/ ١٤٢١هـ). ص ٩ - ١٠.

وظهر ما يمكن أنْ يسمَّى بالرؤية الاستشراقية المعدَّلة، التي تنتقد المجتمع الغربي في موقفه من الثقافة الإسلامية، وتتفهَّم «مشاعر العالم الإسلامي في أنه يعيش تحت حصار فرضه عليه الغرب، في كثير من المجالات الحيوية؛ السياسية والعسكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية. ويمتدُّ هذا التفهُّم إلى إدراك الأسباب التاريخية التي أدَّت إلى ذلك، وإلى إشكالياتِ عمليةِ التحديث التي فرضها الغرب، وما اقترن بها من توتُّرات اجتماعية واقتصادية. إلاَّ أنَّ أنصار الرؤية (المعدَّلة) يقاومون بكلِّ قوَّة الاستقلال التامَّ عن الغرب، بل ومنع ذلك، وضرورة اتِّباع النموذج الغربي الذي أثبت نجاحه»[1]، كما يقول سمير مرقس، الذي لا يملك إلا أنْ يعيد هذه الرؤية الاستشراقية المعدَّلة إلى الرؤية "الاستشراقية القديمة الجديدة"[2]. ومن ثمّ

(١) انظر: سمير مرقس: الآخر: الحوار المواطنة، القاهرة، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، ٢٠٠٦م. ص ٨٤ ـ ٨٥، (سلسلة العلوم الاجتماعية).

(٢) انظر: سمير مرقس: الآخر: الحوار المواطنة، المرجع السابق، ص ٨٤ ـ ٨٥.

استمرار وضع العالم الإسلامي تحت نوع من الحصار.

التعبير بأنَّ العالم الإسلامي يعيش تحت هذا النوع من الحصار لا يعني أنَّ الإسلام نفسه قد وقع تحت الحصار، ولو كانت المسألة هنا مجرَّد تعبير مجازي من باب التهويل؛ للفت النظر إلى المواقف الأخرى والتحدِّيات التي واجهت المسلمين في خصوصياتهم الأمنية والتعليمية، ونمطهم السياسي باسم الإصلاح أو محاربة الإرهاب.

ربَّما أريد من التعبير المجازي "الإسلام تحت الحصار" القياس على تعبيرات ظهرت في الإعلام الغربي، عندما احتجز مجموعة من حرَّاس الثورة الإيرانية مجموعة تناقص عددهم من أربعة وخمسين (٥٤) إلى اثنين وخمسين (٥٢) من العاملين في السفارة الأمريكية في طهران سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠م فأطلق الإعلام الأمريكي عبارة "أمريكة تحت الحصار"، وشعر اليهود في فلسطين المحتلَّة أنَّ العرب يحاصرونهم، وكذا الهنود، حيث يحاصرهم جيرانهم المسلمون[١].

---

(١) انظر: أكبر أحمد: الإسلام تحت الحصار، مرجع سابق، ص ٥٢.

مع هذا لا يسوغ التعبير بأنَّ ديناً من الأديان، لاسيَّما دين الإسلام المحفوظ، يمكن أنْ يقع تحت حصار خلق من خلق الله تعالى أو تحت الأسر،[١] مهما كانت قوَّة هذا الخلق، فقوَّة خلق الله تعالى لن تكون أكبر من قوة الله تعالى. وهذه من المعاني التي لا ينبغي إغفالها عند الحديث عن هذه المواجهات بين الغرب والشرق، لاسيَّما الشرق الإسلامي، أخذاً في الحسبان أنَّ الغرب بدأ يعود اليوم إلى إدراك هذه المعاني الروحية، بعد حقبة من تناسيها في الحياة العامَّة؛ بحجَّة النزوع إلى منهج العلمانية في إدارة الحياة العامة، وقصر الجوانب الروحانية على الحياة الخاصَّة.

مع هذا لم يتمكَّن المستشرقون في دراساتهم

(١) هناك توظيف لعبارات صحفية مثيرة، ووقعها على العين والنفس متعب لتكون عنوانات لأعمال الأصل فيها أنْ تكون علمية المنهج والنقاش، عبارات مثل الأسر والاختطاف. انظر مثلاً: الصادق النيهوم: الإسلام في الأسر: من سرق الجامع وأين ذهب يوم الجمعة؟، لندن، رياض الريِّس، ١٩٩١م، ٣٦٩ ص. وانظر أيضاً: الصادق النيهوم: الإسلام ضدَّ الإسلام: شريعة من ورق، بيروت، رياض الريِّس، ط٣، ٢٠٠٠م. ٣٧٩ ص.

الاجتماعية والأنثروبولوجية من عزل الدين الإسلامي عن هذه الدراسات كما مرَّ ذكره، إذ توجَّه بعضهم إلى دراسة المجتمع المسلم أنثروبولوجيّاً من خلال أوجه النشاط الديني، مثل القضايا التي يطرحها خُطباء صلاة الجمعة[1]، ومثل الشأن النسائي في المجتمع المسلم، بما في ذلك ظاهرة تفشِّي الحجاب لدى المسلمات، وشيوع ذلك حتَّى في المجتمعات غير المسلمة، التي توجد بها جاليات مسلمة.

الاستشراق والسياسة

استهوت بعضَ المستشرقين السياسةُ، في وقتٍ كان العالم يمرُّ بمرحلة اجتياح أوربّي للعالم، شرقه وجنوبه والقارَّة الأمريكية الوسطى والجنوبية، فيما اصطلح عليه

---

(١) انظر: من الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا (١ ـ ٢)، الدولة والمجتمع وصورة الإسلام، في: الاجتهاد، ع ٤٧/٤٨ (صيف وخريف العام ٢٠٠٠م/ ١٤٢١هـ)، ومن الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا (٣): الصورة والرمز الآخر، في: الاجتهاد ع ٤٩ (شتاء العام ٢٠٠١م/١٤٢١- ١٤٢٢هـ). ومن الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا (٢): نقد الاستشراق، في: الاجتهاد، ع ٥٠/ ٥١ (ربيع وصيف العام ٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ).

بحقبة الاستعمار، فكانت هذه الفئة من المستشرقين (باستثناء الاستشراق الألماني الذي لم يزدهر نتيجةً للاستعمار)،[١] جاهزةً لتقديم العون للجهات الاستعمارية، من خلال تقديم المعلومة عن البلاد المستهدَفة بالاستعمار. ورافق بعضُ المستشرقين الحملات الاستعمارية، سلفستر دي ساسي (١٧٥٨ ـ ١٨٣٨م) في الجزائر، وكريستيان سنوك هورخرونيه (١٨٥٧ ـ ١٩٣٦م) في إندونيسية نموذجاً. فهم هنا يمارسون مهمَّة الأدلاَّء، ولكن مع اختلاف في المهمَّات عن أسلافهم قاصدي فلسطين.

ثمَّ يمتدُّ الاهتمام بالسياسة من لدن المستشرقين، حتَّى بعد انتهاء الحقبة الاستعمارية والاستعاضة عنها بحقبة الهيمنة التي يعيشها العالم اليوم في ضوء سيطرة القطب الواحد. وهي هيمنة آنية لا يتوقَّع لها «أنْ تصير دائمةً» في ضوء تضاؤل مقوِّمات الدوام والثبات،

---

(١) انظر: ميشال جحا: الاستشراق الألماني في القرن العشرين، الاجتهاد، ع ٥٠/ ٥١ (ربيع وصيف العام ٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ). ص ٢٥٧ ـ ٢٦٧.

لاسيَّما الأخلاقية منها، على رأي جيمي كارتر رئيس الولايات المتَّحدة الأمريكية الأسبق[1].

إذا جرى الحديث عن الهيمنة يتَّجه الذهن إلى انفراد الولايات المتَّحدة الأمريكية في الساحة العالمية، مع صنع حلفاء لها في أوربَّة يحقِّقون لهم ولها مصالحهم ومصالحها، ربَّما على حساب مصالح الشعوب الأخرى، مما يفاقم صنع الكراهية. وأظهر هذا المنحى أدبيَّات إعلامية وتحليلية سريعة أضحى همُّها هجاء هذا النمط من العلاقة بين الغرب والشرق، دون توخِّي الموضوعية في التحليل والعلمية في بسط الأمور، بل ربَّما لتحقيق حاجة في نفس يعقوب كانت موجودة من قبلُ إبَّان المدِّ الشيوعي والاشتراكي[2]، بحيث يمكن أنْ تُعَدَّ هذه الأدبيَّات الإعلامية والتحليلية السريعة نفسُها

---

(١) انظر: جيمي كارتر: قيمنا المعرَّضة للخطر: أزمة أمريكة الأخلاقية/ ترجمة مُحَمَّد محمود التوبة، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ص ١٧.

(٢) انظر: بهجت قرني، وآخرون: صناعة الكراهية في العلاقات العربية ـ الأمريكية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣م. ٤٠٦ ص.

إسهامةً من الإسهامات في مسيرة صناعة الكراهية بين الثقافات.

يُرجع مُحَمَّد علي الخالدي أسباب هذه الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين والعرب إلى «دور عملية الاستشراق وإشاعة تصوُّراتها، إذ احتلَّت الأولوية في المشهد الثقافي وخدمتها أهدافاً استعمارية، فخرقت ثقافات الشعوب المحلية وطمست هويتها الحضارية من خلال فرض التصوُّرات الغربية لكل مناحي الحياة وتفسير أحداث التاريخ الإسلامي بموجب مقاسات تلك السياسة الاستعمارية»[١].

الاستشراق والتنصير:

وتستهوي عدداً من المستشرقين الحملاتُ التنصيرية (التبشيرية)، التي اجتاحت الشرق والجنوب والقارَّة الأمريكية الوسطى والجنوبية، فيكون هؤلاء عوناً للمنصِّرين، ويكوِّنون لهم قاعدة المعلومات التي تمدُّ المنصِّرين بما يحتاجون إليه من معلومات عن

---

(١) انظر: مُحَمَّد علي الخالدي: إنسان بأصوات متعدِّدة

http://www.mafhoum.com/press 6/164C 372.htm

المجتمعات المستهدفة بالتنصير في سبيل تحقيق مهمَّاتهم الصعبة، لاسيَّما في المشرق الإسلامي، حيث يقفُ التوحيد حائلاً دون وصول التثليث إلى عقول الناس وأفهامهم.

فظهرت على الساحة الثقافية فئةٌ من المستشرقين المنصِّرين، لاسيَّما مع تزايُد الدخول في النصرانية في مجتمع العالم الثالث. ففي مطلع القرن العشرين الميلادي (١٩٠٠م) كان سبعون بالمئة (٧٠٪) من النصارى في أوربَّة وأمريكة، بينما يشغل أكثرُ من ثلثي (٦٦٪) نصارى العالم المناطق النامية؛ آسية وأفريقية وأمريكة اللاتينية[١].

ويمكن أنْ ينظر للتنصير على أنَّه شكل من أشكال صناعة الكراهية بين الغرب والشرق، لاسيَّما الشرق الإسلامي الذي لم يكن مرحَّباً بالتنصير بديلاً عن العقيدة

(١) انظر: محمد السمَّاك: الحوار الإسلامي ـ المسيحي في الألفية الثالثة، ص ٦٩ ـ ٨٨، في: خالد الكركي، مراجع ومقدِّم: حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي، عمَّان، مؤسَّسة عبد الحميد شومان، ٢٠٠٤م. ٢٦٨ ص.

الإسلامية الصحيحة، مهما قيل من "توزيع الأدوار" والجهات بين الدعوة الإسلامية والتنصير، إذ يوجّه الدعاة المسلمون والمنصّرون المسيحيون جهودهم لغير المؤمنين في أعماق آسية وأفريقية، على رأي محمد السمّاك.[١]

فهذا توزيع نظري لا يرقى إلى النظرة الواقعية الممارسة الآن في مجالات الدعوة والتنصير لجهود الدعاة والمنصّرين على حدٍّ سواء، القائمة على التسابُق والتحدّي في كسب المسلمين أو المتنصّرين[٢]، فيتعرَّض هذا الحدّ الأدنى من التفاهُم «لأنْ تذروه رياح التنافُس من جديد عندما يجد الإسلام والمسيحية نفسيهما وجهاً

(١) انظر: محمد السمّاك: الحوار الإسلامي ـ المسيحي في الألفية الثالثة، ص ٦٩ ـ ٨٨، في: خالد الكركي، مراجع ومقدّم: حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي، المرجع السابق، ٢٦٨ ص.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة: المستشرقون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين، مع نماذج من المستشرقين المنصّرين، الرياض، مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. ١٧٨ ص.

لوجه فوق أرض واحدة ووسط مجتمعات واحدة ثقافةً وعاداتٍ وتقاليدَ»[١].

فجاءت هذه المنافسة طبيعيةً، لاسيَّما مع التوجُّه إلى تثبيت المسلمين من جهة والمسيحيين من جهة أخرى، على دينهم بوصفه أسلوباً من أساليب الدعوة والتنصير[٢].

الاستشراق الإعلامي

ثمَّ يستهوي فئةً من المستشرقين الإعلامُ بمفهومه الحديث، الذي يعتمد على سرعة النشر، على حساب المعلومة الموثَّقة، ومن ثمّ يتّكئ على المعلومة السريعة، التي قد تفتقر إلى التحليل العميق، فيقع بعض المستشرقين في فخِّ الإعلام؛ رغبةً من بعضهم في الشهرة والظهور والانتشار، فيتخلّون عن المفهوم التقليدي

(١) انظر: محمد السمّاك: الحوار الإسلامي ـ المسيحي في الألفية الثالثة، ص ٦٩ ـ ٨٨، في: خالد الكركي، مراجع ومقدِّم: حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي، مرجع سابق، ٢٦٨ ص.

(٢) انظر: أحمد كمال أبو المجد: حوار الحضارات: الإسلام والغرب، ص ٥١ ـ ٦٧، في: خالد الكركي، مراجع ومقدِّم: حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي، مرجع سابق، ٢٦٨ ص.

العميق للاستشراق ويتبرّؤون منه، ويرميه بعضُهم في مزبلة التاريخ، على رأي برنارد لويس[١]، ويصبح المصطلح عند هذه الفئة مشؤوماً، ويلتفُّون عليه بألقاب علمية أخرى[٢]، ويعزفون عن الأبحاث في قضايا تراثية، وينصبون أنفسهم خبراء في قضايا المسلمين المعاصرة، (برنارد لويس، نموذجاً)، فيميلون في كتاباتهم «إلى نمط المستشار والخبير، وليس الأكاديمي الصرف، وإنْ لم يستشره أحدٌ كما يبدو إلا عشية ١١ سبتمبر ٢٠٠١م»، كما يقول رضوان السيِّد[٣]، فيغذُّون

---

(١) انظر: برنارد لويس: الإسلام والدولة، التسامُح، ع ٨ (خريف ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م). ص ١٨٦ ـ ١٩٧. وانظر أيضاً: برنارد لويس: مسألة الاستشراق، ص ١٥٩ ـ ١٨٢، في: هاشم صالح، معدٌّ ومترجم، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، بيروت، دار الساقي، ط٢، ٢٠٠٠م. ٢٦١ ص.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة: الالتفاف على الاستشراق: محاولة التنصُّل من المصطلح، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامَّة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ١٨٢ ص.

(٣) انظر: رضوان السيِّد: خمسة وعشرون عاماً على كتاب (الاستشراق): استشراق إدوارد سعيد وعلاقات الشرق بالغرب، دراسة في النصِّ والوعي والواقع، ص ٦١ ـ ٧٢. والنصُّ من ص ٦٤، في: يوسف كرباج ومنفرد كروب، مشرفان: تأمُّلات في الشرق، مرجع سابق، ١٤٠ ص.

بهذا الطرح الإعلامَ بصناعة الكراهية للثقافات الأخرى، بما فيها الثقافة الإسلامية.

ويستفيد الإعلامُ من الخلفية العلمية لهذه الفئة من المستشرقين في تذكية صناعة الكراهية بين الثقافات، وإضفاء صورة نمطية غير حسنة عن الإسلام وحضارته وثقافته، وعن المسلمين. وغدت وسائل الإعلام تلاحق المستشرقين بالمقابلات والإسهامات الأخرى، كعرض رؤى المستشرقين وكتبهم. ويأتي هذا التدخُّل في النقاش العام على حساب التقاليد العلمية أو الأكاديمية الخالصة، بحيث ينزع بعض المستشرقين إلى هذا المنحى على حساب المشتهر عنهم من عكوفهم العلمي، وترفُّعهم عن النظرات السطحية للقضايا الراهنة[1]، آنا ماري شيمِّل (١٩٢٢ ـ ٢٠٠٥م) نموذجاً[2].

---

(١) انظر: شتيفان رايشموت: خطابات الاستشراق؟ موقع الدراسات الإسلامية والشرقية في ألمانية اليوم/ ترجمة عدنان حسن، ص ٩٣ ـ ١٠٥، في: يوسف كرباج ومنفرد كروب، مشرفان: تأمُّلات في الشرق، المرجع السابق، ١٤٠ ص.

(٢) انظر: كريستيان ديكوبير: خلاصة عامة: حتى لا ننتهي من العلوم الشرقية/ ترجمة محمد صبح، ١١٥ ـ ١٢٠، في: يوسف =

الاستشراق الصحفي

أدّى هذا التوجُّه إلى الإعلام إلى النظر إلى الاستشراق الجديد على أنه وقع تحت سيطرة مفهوم العولمة، فظهر ما يطلق عليه الاستشراق المعولم أو استشراق العولمة أو الاستشراق الصحفي، الذي يقوده رجال الإعلام والسياسة «الذين تكوَّنوا تكويناً خاصّاً داخل المدارس الغربية لمواصلة ما مهَّد له المستشرقون القدامى»[1].

النظرة السطحية للإعلام في مقابل البحث التحليلي للاستشراق لا تقلِّل من تأثير الإعلام في النفوس ولا تُصادر الجهود التي تُبذل في سبيل تحقيق هذا التأثير. والاستشراق الصحفي يسعى إلى رفع المعلومة الصحفية إلى معلومة استشراقية، فكأنَّ الاستشراق

= كرباج ومنفرد كروب، مشرفان: تأمُّلات في الشرق، المرجع السابق، ١٤٠ ص.

(١) انظر: مصطفى سلوي: نهاية الغرب أو موت الاستشراق في أفق العولمة ما بعد ١١ شتنبر، ص ٢٥ ـ ٤٥. والنص من ص ٢٩، في: مصطفى سلوي: الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة: يوم دراسي، مرجع سابق، ١٦٦ ص.

الصحفي قد نزل بالاستشراق إلى المعلومة السريعة، ورفع من الإعلام بالمعلومة الاستشراقية. وهو هنا في هبوط استشراقي وسمو صحفي. ولا يرضى المستشرقون بما دون ذلك، بل إنَّ المستشرقين الأكاديميين يشتكون من هذه الظاهرة التي أصبحت تهدِّد مكانتهم، مع أنهم هم الذين أسهموا بشكل أو بآخر في تكوين هذه الظاهرة وتأهيلها[1].

يقول المفكِّر المغربي حسن عزُّوزي عن المستشرقين الصحفيين: «ولقد أخذ كثيرٌ من المستشرقين الصحفيين يعزِّزون مواقفهم الثقافية بالاضطلاع بدراسات ميدانية في بعض الدول الإسلامية، وهي دراسات تكون مقترحةً وممَوَّلة من طرف مراكز البحث حول مجتمعات العالم الإسلامي بالجامعات الغربية التي تعمل على تكوين خبراء مناطق لا يتمُّ ابتعاثهم إلى المنطقة العربية المحدَّدة إلا بعد أنْ يلقَّنوا ويشحنوا بكمٍّ هائلٍ من الأفكار المسبقة

---

(١) انظر: ظاهرة (الاستشراق الصحفي)، ص ٤١ ـ ٤٦، في: حسن عزُّوزي. الغرب وسياسة التخويف من الإسلام، مكناس، ألوان مغربية، ٢٠٠٢م. ٦٩ ص. (سلسلة اخترت لك؛ ١٠).

والمقولات الخاطئة في حقِّ الإسلام والمسلمين. وكثيراً ما يُرسل المستشرق الصحفي إلى بلد إسلامي غريب عليه دون أيّ إعداد أو خبرة تؤهِّله للمهمَّة المناطة به، بل يكمن المؤهِّل الوحيد في براعته في التقاط الأشياء والأحداث بسرعة»[١].

مع هذا يبقى رهطٌ من المستشرقين عازفين عن هذا الأسلوب في طرح القضايا، وتظلُّ رؤاهم ثابتةً لا تؤثِّر بها الأحداث السياسية المتتالية، مما أوجد (تيَّاراً) من المستشرقين المتهجِّمين على المستشرقين ممَّن يزعمون أنهم على معرفة بالإسلام أو بالعرب[٢]. حتَّى أولئك المستشرقون الذين خدموا الاستعمار، فإنه ينظر إلى بعضهم أنهم خدموا الإسلام أكثر من خدمتهم للاستعمار، فقد «كانوا علماء وفَّوا للبحث العلمي حقَّه

(١) انظر: ظاهرة (الاستشراق الصحفي)، ص ٤١ ـ ٤٦. والنصُّ من ص ٤٥ ـ ٤٦، في: حسن عزُّوزي: الغرب وسياسة التخويف من الإسلام، المرجع السابق، ٦٩ ص.

(٢) انظر: سمير قصير: تعليق/ ترجمة محمد صبح، ص ١٠٧ ـ ١١٣، في: يوسف كرباج ومنفرد كروب، مشرفان: تأمُّلات في الشرق، مرجع سابق، ١٤٠ ص.

ربَّما أكثر مما وفَّوا لخدمتهم للاستعمار. وانتهى الجانب السلبي من عملهم وبقي ما يمكن أنْ نسمِّيه الجانب الإيجابي»[١].

ومن هذا القبيل تأتي الطعون على الإسلام بآثار إيجابية على المتلقِّين غير المسلمين، إذ يعمد بعض المتابعين لهذه الطعون للتحقُّق منها من خلال البحث في مدى صحَّة هذه الطعون. وهذا خالد شلدريك الذي كان من مريدي الاستشراق لكنَّه أسلم وترك الاستشراق. وجاء إسلامه لا من خلال القراءات عن الإسلام من مصادره، ولكن من خلال كتابات الطاعنين فيه، حيث تمتلئ الكتب الاستشراقية المؤلَّفة عن الإسلام «بالتحامُل والمطاعن والعرض الظالم والزعم أنَّ الإسلام ليس ديناً مستقلاًّ، ولكنه أقوالٌ محرَّفة عن كتب المسيحيين»، كما ينقل عنه عبدالله العليّان[٢].

(١) انظر: عبدالكريم غلاَّب: العرض التمهيدي، ص ١٧ ـ ٣٦. والنصُّ من ص ٣٦ .في: المغرب في الدراسات الاستشراقية، مرجع سابق، ٢٢٩ ص.

(٢) انظر: عبدالله العليّان: الإسلام والغرب: ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، بيروت، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م. ص ٧١.

الفصل الرابع

الاستشراق ووسائل صناعة الكراهية

ليس من السهل حصر الوسائل التي يمكن عدُّها مؤثِّرة في صناعة الكراهية بين الثقافات. ويمكن أن تقسَّم (القائمة) إلى وسائل قديمة، وأخرى حديثة أو معاصرة. كانت إسهامات المستشرقين الأوائل في هذا المجال قد بدأت بالطعون المباشرة وإثارة الشبهات في الثقافة الإسلامية، حين شكَّك الاستشراق في الإسلام، ومن ثمَّ شكَّك في القرآن الكريم على أنه كتاب منزَّل من الله تعالى على عبده ورسوله مُحَمَّد بن عبدالله ﷺ، وأنه من تأليف مُحَمَّد ﷺ، (جورج سيل ١٦٩٧ ـ ١٧٣٦م نموذجاً)، ومن ثمَّ التشكيك في سنَّة المصطفى ﷺ وسيرته، والتشكيك في الشريعة الإسلامية، وأنَّها مستمدَّة من القانون اليوناني أو الإغريقي، ثمَّ لمز

الصحابة والتابعين والتاريخ الإسلامي والفتوح الإسلامية، والقائمة تطول.

يقول حاتم الطحاوي في عرضه لكتاب مُحَمَّد خليفة حسن (آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية): «أثار الاستشراق الشكوك في العقيدة، عبر نظرته للقرآن الكريم والحديث النبوي ومصادر العقيدة الإسلامية على أنها خاضعة للنقد العقلي وحضّ المسلمين على ضرورة إخضاع تلك المصادر للرؤية النقدية العقلية. وبالتالي التخفيف من قدسيَّتها لدى المسلمين، والحضّ على تركها واستبدال القوانين الوضعية البشرية بها»[١].

إلاَّ أنَّ صناعة هذه الطعون والشُّبُهات قد خدمت مرحلة من مراحل العلاقة بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، ولم تعُد ممَّا يسوِّق اليوم، فلجأ المستشرقون إلى بناء شبهات جديدة بمنهجية خاصة في صناعة

(١) انظر: حاتم الطحاوي: الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية (مُحَمَّد خليفة حسن)، الاجتهاد، مرجع سابق، ص ٣٢١ ـ ٣٣٥. والنصُّ من ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

الشبهات وبنائها؛ لأنَّ المستشرقين أنفسَهم قد وقفوا من الشبهات التقليدية موقف الناقد الفاحص[١]، الذي تبيَّن له أنَّ الزمن قد تجاوز الطعون والشُّبُهات المباشرة، لاسيَّما مع التفات الباحثين المسلمين لنقد الاستشراق، ونشوء جدل بين الباحثين العرب والمسلمين أنفسهم حول الموقف من الاستشراق، ومدى خدمته للثقافة الإسلامية، ومن ثَمَّ التصدِّي لهذه الأنواع من الطعون والشبهات والردود عليها من قبل الباحثين المسلمين، وعزوها إلى الأغراض التي قامت من أجله.

الخوف من الاسلام

ثمَّ تأتي المرحلة المعاصرة التي توهَّمت أنَّ الإسلام يمثِّل خطراً يهدِّد الوجود الغربي بثقافته التي بني عليها، على الرغم من تبنِّي المنهج العَلماني في الممارسة السياسية. ونحَتَ الغرب مصطلح "الإسلام ـ فوبيا"، أو الإسلاموفوبيا Islamophobia، لاسيَّما بعد انتهاء تأثير المعسكر الشرقي، وانتهاء الحرب الباردة، والبحث عن

---

(١) انظر: محمد خليفة حسن: أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ٣٨٦ ـ ٣٨٨.

عدوٌّ جديد يتوحَّد الغرب ويتحالف في التصدِّي له.[١]

يقول مُحَمَّد علي الخالدي إنَّ الإسلاموفوبيا «مصطلح أكثر شيوعاً من الاستشراقية. (الإسلاموفوبيا)، وقد عُرِّب مصطلح الإسلاموفوبيا إلى "التخويف من الإسلام والمسلمين"، الذي يُعرَّف بأنَّه "الفزع من الإسلام أو كرهه، والخوف من المسلمين أو كرههم"، ويعتقد كثير من الخبراء أنَّ هذا المصطلح غير دقيق، ولا يعبِّر بصدق عن أنواع التمييز ضد المسلمين. ووضعه الأوربّيون على غرار مصطلح (اللاسامية)، وهي ظاهرة تمييزية أوربّية تختلف تماماً، في أجواء انبثاقها، عن نوعية العلاقة بين الإسلام والغرب.

وعرَّب بعض الباحثين الإسلاموفوبيا اختصاراً بـ (رهاب الإسلام)، ضمن ما يعتقد أنَّها سياسة حكومية تستهدف إقناع المجتمع الغربي بوجود تناقُض صارخ مع

(١) انظر: مصطفى الدبَّاغ: الإسلاموفوبيا ISLAMOPHOBIA: عقدة الخوف من الإسلام، عمَّان، دار الفرقان، ط٢، ٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ ١٤٩ ص. وانظر، أيضاً: الان جريش: الإسلاموفوبيا/ ترجمة وتعليق إدريس هاني، الكلمة، مج ١٠ / ع ٤٠ (صيف ٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ). ص ١٠٤ ـ ١٢٠.

الإسلام، حسب مقولة أنَّ الإسلام هو الخطر الجديد القادم نحو البلدان الغربية من الشرق، بعد سقوط المعسكر الاشتراكي، كما عبَّر عن ذاك الأمين العام السابق للحلف الأطلسي في بداية التسعينيات»[١].

لقد تحوَّل هذا الخوف من الإسلام والمسلمين إلى مرض، بحيث يشمل هذا الهاجس كلَّ مَن يدين بالإسلام وعلى مختلف المستويات الاجتماعية. وهو مرضٌ غير مبرَّر[٢]. وكانت من نتائجه التضييق على الجاليات المسلمة، وتطاول بعض الغربيين على الإسلام وعلى القرآن الكريم، فشبَّهه مذيع قناة فوكس بيل أورايلي بكتاب كفاحي لهتلر، مع أنَّ الرئيس الأمريكي من قرَّاء هذا الكتاب. وظهر التنفير من الإسلام بصفته يشكِّل خطراً على الوجود البشري في بعض المؤسَّسات الدينية المسيحية المتصهينة، وعلى لسان قياداتها المعروفة على

(١) انظر: مُحَمَّد علي الخالدي: إنسان بأصوات متعدِّدة، مرجع سابق.

(٢) انظر: سعيد اللاوندي: الإسلاموفوبيا: لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟، مرجع سابق، ٣١٨ ص.

الساحة الغربية، من أمثال: بيلي جراهام وابنه فرانكلين جراهام وجيري فاينز وجيري فالويل ويات روبرتسون[1].

الخوف من الإسلام ليس وليد القرن الحادي والعشرين، وليس وليد أحداث يوم الثلاثاء ٢٢/٦/١٤٢٢هـ الموافق ١١/٩/٢٠٠١م كما يبدو لأول وهلة، بل يكاد هذا الهاجس يسيطر على المجتمع الغربي بخاصَّة، والمجتمعات غير الإسلامية بعامَّة منذ بعثة محمد بن عبدالله ﷺ، ولذا نشأت الأدبيات التي تسعى إلى تنبيه القوم من خطر الإسلام، وقامت الحروب والمناوشات والحوارات العنيفة والأقوال الصادَّة، بدلاً من الحوارات المباشرة القائمة على الحِجاج والجِدال بالتي هي أحسن.

لا يتَّسع المجال لتصيُّد هذه الأقوال والأفعال الصادَّة التي جاءت على ألسنة السياسيين والمستعمرين والمنصِّرين والمستشرقين وغيرهم، وتناقلتها بعض الإسهامات العربية والإسلامية التي كان لها - دون قصد

(١) انظر: أكبر أحمد: الإسلام تحت الحصار/ ترجمة عزَّت شعلان، بيروت، دار الساقي، ٢٠٠٤م. ص ٦٧.

مباشر منها - أثر في زيادة الفجوة بين الثقافات، ومن بحث وجد[١].

يظلُّ الخوف من الإسلام وهماً من الأوهام التي روَّجت لها عناصر رأت أنَّ الإسلام يهدِّد مصالحها الخاصة. وأعان على ترسيخ هذا الوهم حجب المعلومة الصحيحة عن الإسلام، من قبل المنتمين إليه أحياناً، ومن ثمَّ تقديم معلومات مغلوطة ومشوَّهة عن هذا الدين الشمولي. وهنا يأتي أثر الاستشراق الصحفي ودوره في ترويج المعلومة المزيَّفة الموغلة في التزييف والتضليل[٢]، عمداً في غالب الأحوال، وفي الوقت نفسه إغفال أثر الحضارة الإسلامية والشرقية في بناء الجذور الحضارية الغربية المهيمنة اليوم[٣]، انطلاقاً من

(١) انظر: جودت سعيد: لِمَ هذا الرعب كله من الإسلام، وكيف بدأ؟!، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. ٦٤ ص.

(٢) انظر: ظاهرة (الاستشراق الصحفي)، ص ٤١ - ٤٦، في: حسن عزُّوزي: الغرب وسياسة التخويف من الإسلام، مرجع سابق، ٦٩ ص.

(٣) انظر: جون إم. هوبسون: الجذور الشرقية للحضارة الغربية/ =

طليطلة وإسبانية عموماً، وصقلية وجنوب إيطالية. وجاء ذلك عن طريق النقل والترجمة من اللغة العربية إلى اللغات الأوربّية[١]، وتعمُّد تغييب هذا البُعد الفعلي في تلاقي الحضارات، وتطويرها وتطويعها للمعطيات الثقافية، مما يعني وضوح أثر الاستشراق في هذا المجال في صناعة الكراهية بين الثقافات.

تصدَّى لهذه النبرة المتجدِّدة (الخوف من الإسلام)، رهطٌ من المفكِّرين الغربيين والمسلمين، ونظروا إليها على أنَّها وهمٌ من جملة الأوهام التي يراد من ورائها استمرار حالة التأزُّم القائمة بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي[٢]، ومن ثمَّ الاستمرار في حالة غير مستقرَّة، تفيد منها عناصر جعلت من هذه الحالة مجالاً

= ترجمة منال قابيل، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. ص٤١١ .

(١) انظر: عبدالرحمن بدوي: دور العرب في تكوين الفكر الأوربّي، مرجع سابق، ص٢٥٦ .

(٢) انظر: أحمد شاهين: صنّاع الشرّ، القاهرة، دار المعارف، ٢٠٠٤م. ص٢٠٨ . (سلسلة اقرأ؛ ٦٩٥).

لجلب مصالح ذاتية محدودة النفع محدودة الجغرافيا والزمان، ممتدَّة الضرر في الجغرافيا والتاريخ.

تساعد الظروفُ والأحداثُ الآنية في تعميق هذا الوهم، من خلال عدَّة مؤشِّرات، منها سيطرة المحافظين الجدد على الإدارة الأمريكية، والأحداث المؤسفة التي حصلت يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ الموافق الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، والتي اتُّهم بتنفيذها ثلَّة من الشباب المسلمين. ثمَّ ملاحقة من اتُّهموا بالتخطيط لهذه الأحداث، وهم ـ في الظاهر ـ من المسلمين، وغيرها قبلها، وربَّما ـ لا قدَّر الله ـ بعدها، في جبال أفغانستان وغيرها، واجتياح العراق بدءاً بيوم الخميس ١٦/ ١/ ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٣م، ثم انتهت يوم الأربعاء ٦/ ٢/ ١٤٢٤هـ الموافق ٩/ ٤/ ٢٠٠٣م، بحجَّة أنَّ النظام القائم آنذاك يهدِّد الاستقرار في المنطقة، أي يهدِّد الوجود اليهودي في فلسطين المحتلَّة، دون إغفال غزو النظام البعثي في العراق للكويت يوم الخميس ١١/ ١/ ١٤١١هـ الموافق ٢/ ٨/ ١٩٩٠م.

صهينة الاستشراق

لا يتحمَّل الاستشراق المعاصر أو الجديد تأجيج هذا الوضع ابتداءً، إلاَّ أنَّه في بعض جوانبه وجدها فرصةً مواتية لتجديد صناعة كراهية الإسلام والمسلمين، لاسيَّما بين المستشرقين المتصهينين (برنارد لويس، نموذجاً)، ويتبعه تلميذاه دانييل بايبس، ومارتن كريمر، وإنْ لم يكن الأخيران مستشرقين، وإنْ عدَّهما فاضل الربيعي مع بيرل ودوغلاس فاث من المستشرقين الاستعماريين[١].

ويضاف إلى هؤلاء قائمة غير حصرية من أمثال مورتايمر زُكرمان وفرجوس بورودريتش وروبرت ستالوف وأموس بيرلموتر ووالتر جودمان ولسلي جيليب وديفيد هارتمان ويهوشفات هركابي وستيفن هلمز وروبين رايت[٢]. الذين يعنيهم هذا التأجيج؛ ذلك للإسهام في

(١) انظر: فاضل الربيعي: ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء، مرجع سابق، ص ١٣.

(٢) خلف الجراد: أبعاد الاستهداف الأميركي، مرجع سابق، ص ١٠٦.

ترسيخ وجود وطن قومي لليهود في فلسطين المحتلّة، الأمر الذي يمكن أن يُعزى إليه الوضع السياسي والاجتماعي المتأزّم بين الشرق الإسلامي والغرب، وهو ما يسعى برنارد لويس إلى التقليل من تأثيره، بما في ذلك وجود هجمات إرهابية.

ولعلَّ من آخر استفزازات برنارد لويس حول وجود خطر إسلامي على إسرائيل وأمريكة، قوله في مؤتمر عُقد مؤخراً في القدس المحتلّة، وقد حضره أكثر من ثلاثين منظّمة يهودية: «المسلمون شهدوا انهيار الرايخ الثالث، ثم شهدوا انهيار الاتّحاد السوفييتي، والآن يسعون إلى انهيار الولايات المتّحدة»[١].

ويريد دانييل بايبس أنْ يتطرَّف في عدم استخدام المصطلح (الإرهاب)، والاستعاضة عنه بمصطلح يروّج له باسم الإسلام المتشدِّد «Militant Islam»[٢]. فمنطق

(١) نقلته عنه صحيفة الشرق الأوسط في عددها ١٠١٣٠ (الإثنين ١/ ٢/ ١٤٢٨هـ الموافق ١٩/ ٢/ ٢٠٠٧م). ص ٢٠.

(٢) انظر: جميل مطر: الكراهية الأمريكية للعرب صناعة جديدة، ص ٢٦٣ ـ ٢٨٧، في: بهجت قرني، وآخرون: صناعة الكراهية في العلاقات العربية ـ الأمريكية، مرجع سابق، ٤٠٦ ص.

الاستشراق المعاصر أو الجديد، في بعض جوانبه، حول هذه الأحداث المتلاحقة هو تبنّي مقولة: لم أُرِدْها ولم تَسُؤْني.

يقول مايكل كولينز بايبر: «يُعتبر دانييل بايبس من أخبث الشخصيات المعادية للعرب والمسلمين في أمريكة. ويحظى دائماً بتغطية إعلامية وِدّية واسعة. وقد كافأ جورج بوش بايبس على جهوده في إشاعة الكراهية ضدّ العرب والمسلمين بتعيينه في المعهد الأمريكي للسلام، ووجود بايبس في ذلك المعهد يجعل من تسمية ذلك المعهد من المفارقات العجيبة في هذا الزمان»[1].

مع هذا لا يدخل هذا البحث في التعرُّض إلى أولئك الرهط من صنّاع الكراهية من غير المستشرقين، من أمثال دانييل بايبس صاحب مشروع مراقبة الجامعات

(١) انظر: مايكل كولينز بايبر: كهنة الحرب الكبار: التاريخ السردي لوصول (المحافظين الجدد) التروتسكيين إلى السلطة في الولايات المتّحدة وتدبيرهم الحرب ضدّ العراق كخطوة أولى في سعيهم نحو تحقيق إمبراطورية عالمية/ نقله إلى العربية عبداللطيف أبو البصل، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. ص ٢٥٣.

لرصد ما يقال عن اليهودية والصهيونية، وصاحب فصلية الشرق الأوسط، التي يرأس تحريرها زميله في التوجُّه مارتن كريمر، المدير السابق لمركز موشي دايان في الجامعة العبرية في تلِّ أبيب، ويحمل جنسية مزدوجة،[١] وآخرون من مثل مايكل كوك وباتريشيا كرون، وغيرهم ممَّن شاعت نظريَّاتهم في مجال صُنع الكراهية؛ إذ إنَّ التركيز هنا ينصبُّ على أثر الاستشراق، في وجه من وجوهه، في صنع الكراهية بين الثقافات.

ووجه ذكر هذه الشخصيَّات غير المستشرقة في هذا السياق أنَّهم تلاميذ للمستشرق المتصهين "التاريخي سابقاً، المحلّل السياسي في شؤون الشرق الأوسط لاحقاً" برنارد لويس، وأنَّهم مع آخرين يجسّدون الكراهية للعرب والمسلمين، ويروِّجون في الوقت نفسه لأسطورة كراهية العرب والمسلمين للغرب ولأنظمة الغرب وحرِّياته، وديمقراطيته، ويمرِّرونها على الشعوب

(١) انظر: عبدالله بن فهد النفيسي: هل يشكِّل الإسلام خطراً على الغرب؟/ تحرير ساجد العبدلي المطيري، بيروت، المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣م. ص ٥٢.

الغربية[١]، مبتدعين مفهومات التفريق بين الثقافات من خلال إقحام مصطلحات ذات مفهومات إنجيلية، مثل محور الشرّ، الذي هو تحوير صاغه ديفيد فروم (الكاتب السابق لخطابات الرئيس) عن مفهوم محور الكراهية؛ ليوافق التوجُّه الإنجيلي للإدارة القائمة، الذي يأتي على حساب الليبرالية التي كانت تظلّل إدارة البلاد[٢].

تُعيد هذه الفئة من تلاميذ المستشرق برنارد لويس كراهية العرب والمسلمين للغرب إلى التأثير الألماني فيهم، وإعجاب العرب بالفلسفة الألمانية وموقفها من الحضارة الأمريكية، منزوعة الثقافة والروح ذات الهياكل المصطنعة، من أمثال إرنست جانغر ومارتين هايديغر وراينر ماريا ريلكه، الذين يرون أنَّ أمريكة حضارة وليست

---

(١) انظر: جميل مطر: الكراهية الأمريكية للعرب صناعة جديدة، ص ٢٦٣ ـ ٢٨٧، في: بهجت قرني، وآخرون: صناعة الكراهية في العلاقات العربية ـ الأمريكية، مرجع سابق، ٤٠٦ ص.

(٢) انظر: David Frum.'The man: The Surprise Presidency of George W. Bush.- New York: Random House, 2003.- p. 272. نقلاً عن بنجامين ر. باربر: إمبراطورية الخوف: الحرب والإرهاب والديموقراطية/ ترجمة عمر الأيوبي، بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥م. ص ٢٥ ـ ٢٦.

ثقافة أو حضارة من دون ثقافة وذات هياكل مصطنعة، وأنَّها نتاج عمليات تجميع وتركيب، أي إنها لم تنمُ نموّاً طبيعياً. فتأثَّر العرب بهذا الفكر الألماني المتطرِّف فصاروا يقلِّدونه! ويردُّ جميل مطر على هذا الزعم الصادر عن برنارد لويس بردٍّ منطقي ذي علاقة بمحدودية إتقان العرب للغة الألمانية على امتداد قرن من الزمان(١).

المؤكَّد أنَّ الألمان أتقنوا اللغة العربية وترجموا منها قبل سبعة قرون (١٣١١م)، عندما اشتغل المستشرقون الألمان بالتراث العربي الإسلامي على مستوى الجامعات الألمانية. يقول مصطفى ماهر: «فإذا نظرنا إلى العالم العربي في الفترة نفسها وجدناه خالياً من جهود مناظرة؛ لأسباب قد لا تخفى عنا أحياناً، ولأسباب لا ترضينا في أحيانٍ أخرى»(٢).

---

(١) انظر: جميل مطر: الكراهية الأمريكية للعرب صناعة جديدة، ص ٢٦٣ ـ ٢٨٧، في: بهجت قرني، وآخرون: صناعة الكراهية في العلاقات العربية ـ الأمريكية، مرجع سابق، ٤٠٦ ص.

(٢) انظر: مصطفى ماهر: علاقات على طريق الترجمة من الألمانية إلى العربية، ص ٦٢ ـ ٧٨. والنصُّ من ص ٦٤، في: مصطفى ماهر، معدّ: حوار بين الألمان والعرب: سجلُّ الأسبوع الثقافي العربي الألماني الذي أقيم في (توبينجن) عام ١٩٧٤م، =

هذه الأفكار الصدامية الرامية إلى ترسيخ صناعة الكراهية بين الثقافات تُعَدُّ عالةً على المنظِّر المستشرق برنارد لويس، الذي يُعَدُّ من آخر المستشرقين التقليديين أو الكلاسيكيين المتصهينين، كما أنه يُعَدُّ المنظِّر والمرجع الأوَّل لفكرة صدام الحضارات[(١)]، التي اهتبلها عنه غيره، وروَّج لها فراجت، وانقاد لها خلقٌ كثيرٌ من بعض مفكِّري الليبرالية من العرب والمسلمين، على ما وسمت به من كونها مجرَّد أفكار سطحية[(٢)]. ولا تُنسى جهوده في صهينة الاستشراق الأمريكي، إذ تحوَّل الفكر الاستشراقي الأمريكي حتَّى «صار أكثر ارتباطاً بالمشروع الصهيوني وأكثر استعداداً لخدمته»[(٣)].

= القاهرة، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، ١٩٧٦م. ٣٠٦ ص.

(١) انظر: حسن عزُّوزي: الإسلام وتهمة الإرهاب، فاس، المؤلِّف، ط٢، ٢٠٠٦م. ص ٦١ ـ ٦٨.

(٢) انظر: زكي الميلاد: من حوار الحضارات إلى تعارُف الحضارات، ص ٤٧، في: زكي الميلاد، معدّ: تعارُف الحضارات، مرجع سابق، ٢٢٦ ص.

(٣) انظر: محمد الكوش: الثابت والمتحوِّل في الخطاب الاستشراقي بعد أحداث ١١ شتنبر، ص ٥٣ ـ ٧٢، في: مصطفى سلوي: الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة: يوم دراسي، مرجع سابق، ١٦٦ ص.

ويمكن القول بأنَّ هذا المستشرق المخضرم يعدُّ ركيزة قوية من ركائز صناعة الكراهية بين المسلمين والغربيين. ولا يكاد يمرُّ نقاش حول الاستشراق الجديد وسيطرة الصهيونية على مراكز الاستشراق المعاصر إلا ويأتي ذكر برنارد لويس، حتى يمكن أنْ تجمع هذه الإسهامات في كتاب ضخم يخصَّص لجهود برنارد لويس في تغيير دفَّة الاستشراق الجديد[١]. هذا مع عدم إغفال الجهد الذي قام به الزميل مازن بن صلاح مطبَّقاني الذي درس المستشرق برنارد لويس دراسة مستفيضة، وجعله موضوع أطروحته لنيل درجة الدكتوراه في الاستشراق[٢].

---

(١) انظر: جلال أمين: برنارد لويس أو دليل الرجل الذكي إلى التشهير بالمسلمين، الميثاق، ع ١٣ (١٨ تشرين الثاني ٢٠٠٣م). ونشرها في كتابه: عصر التشهير بالعرب والمسلمين: نحن والعالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، القاهرة، دار الشروق، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. ص ٧٢ ـ ٨٧. وأفاد خلف الجراد من جلال أمين في هذا في الفصل الثاني: الاستشراق وصناعة الكراهية من كتابه: أبعاد الاستهداف الأمريكي، مرجع سابق، ص ٦٧ ـ ١١٤.

(٢) مازن بن صلاح مطبَّقاني: الاستشراق والاتِّجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ٦١٤ ص.

الاستشراق والإنترنت

وظهرت فئة من التلاميذ الغربيين للمستشرقين من صنّاع الكراهية بين الثقافات، اتّسمت باستخدام تقنيات الاتّصال كالإنترنت والفضائيات وسيلةً للتواصل مع الآخرين. وهي فئة تحتاج إلى وقفة تقويمية، من حيث عمْق الطرح؛ نظراً للفئة المخدومة في هذا النوع من الاتّصال السريع. مستشرقو الإنترنت والفضائيات هم من المستشرقين المعاصرين، إنْ صحَّ أنْ يدعوا بالمستشرقين، وستكون لهم سمات قد تسهم في النظرة السطحية المعولمة للقضايا التي كان المستشرقون التقليديون يطرقونها بعمق وبحث وعناء. فلم يعُد الاستشراق المعاصر «حكراً على المستشرقين والسياسيين الأكاديميين المتخصِّصين في موضوعي الشرق والإسلام، بل صار حتّى العامّة من أفراد الشعب الغربي يخوضون بجدّية في مسائل استشراقية ويطلقون أحكاماً فيها عدائية نابية ضدّ الإسلام والمسلمين»[1].

---

(١) انظر: محمد الكوش: الثابت والمتحوّل في الخطاب الاستشراقي بعد أحداث ١١ شتنبر، ص ٥٣ ـ ٧٢. والنصُّ من =

وظهرت لذلك مواقع وفضائيات تطرح فيها هذه الإساءات، جمعت بين الاستشراق المعاصر والتنصير[1].

لا تقلُّ هذه الوسيلة - فيما يقال وينشر - «خطورةً عن الأفكار الاستشراقية التي كانت وما زالت تتسرَّب عبر الوسائل التقليدية. كما يُلاحظ أنَّ هذه الأفكار بعيدة كلَّ البعد عن روح الجدِّ والموضوعية في التعامُل مع الآخر ومحاولة معرفته. فهي في الحقيقة لا تعدو أنْ تكون مجرَّد أحكام جاهزة وكليشيهات إيديولوجية مليئة بالحقد والكراهية والاحتقار تجاه الإسلام وأهله»[2].

= ص ٦٦، في: مصطفى سلوي: الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة: يوم دراسي، مرجع سابق، ١٦٦ ص.

(١) تزداد القنوات الفضائية العربية التنصيرية الصريحة، مع تكاثر القنوات غير الصريحة، وتأخذ منحى الهجوم على الإسلام والقرآن الكريم ورسول الله ﷺ هجوماً مباشراً ومقذعاً، مثل الحياة والشفاء وغيرها. انظر: تركي بن خالد الظفيري: القنوات الفضائية العربية التنصيرية.

(٢) انظر: محمد الكوش: الثابت والمتحوّل في الخطاب الاستشراقي بعد أحداث ١١ شتنبر، ص ٥٣ ـ ٧٢. والنصُّ من ص ٦٨، في: مصطفى سلوي: الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة: يوم دراسي مرجع سابق، ١٦٦ ص.

ومع هذا فليس الغربُ، لاسيَّما الغرب الأقصى منه في ضوء التقسيم السابق للغرب، كله برنارد لويس وتلاميذه، فهناك آخرون يدخلون في ساحة الإنصاف المصحوب بالإعجاب بالشرق وثقافته من أمثال واشنطون إرفنج (١٧٨٣ ـ ١٨٥٩م) ورالف والدو إمرسون (١٨٠٣ ـ ١٨٨٢م)، ومن حذا حذوهما ممن استبعدوا التأثير السياسي عن دراساتهم الاستشراقية[١]. وأمثالهم الآن موجودون ممن يسعون بدراساتهم إلى التقارُب بين الثقافات، وتأليف القلوب بينها.

يرى الباحث علاَّل سيناصر أنَّ للمستشرقين أثراً واضحاً في تأليف القلوب، فالدور الذي يقوم به المستشرقون في مجال البحث العلمي المتخصِّص ينبغي الوقوف عنده وكشفه، لأنه هو الذي يهتمُّ حِرَفيّاً (من الحرفة) بالعالم العربي. ويملك المستشرقون معرفة جيِّدةً بدقائق الثقافة العربية. ويجب ألاَّ ننسى أننا إذا أردنا أن

(١) انظر: كوامن الرغبة في تأنيث الشرق، ٨٥ ـ ١٠٨، في: مُحَمَّد الدعمي .الاستشراق: الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٣٩ ـ ١٧٨.

نستفيد من الدول الأوربّية فلن نجد غير المستشرقين؛ لأنّهم بما يملكون يمكن أنْ نقوم معهم بعمل يكون من شأنه «التأليف بين القلوب»[١].

---

(١) انظر: سعيد اللاوندي: الإسلاموفوبيا: لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟، مرجع سابق، ص ٢٨٢.

الخاتمة

الخلاصة والنتيجة

يمكن أنْ تُختم الفصول الأربعة السابقة في النظر إلى الاستشراق في بعض وجوهه وفئاته المختلفة دون تعميم على المفهوم كلّه، على أنه يُعدُّ، في جانب من جوانبه وليس في جوانبه كلها، أحد العوامل التي ساعدت على صناعة الكراهية بين الثقافات، بخلاصة ونتيجة من خلال النقاط الآتية:

* للاستشراق أثرٌ بارزٌ في تحديد العلاقة ثقافيّاً بين الشرق والغرب على مستويي الماضي والحاضر، وربّما المستقبل، إذ سيبقى مفهوم الاستشراق وإنْ اختلفت أدواته. ويمتدُّ هذا الأثر في الأبعاد السياسية والإعلامية. ويسهم بطريق مباشر أو غير مباشر في رسم إستراتيجيات هذه العلاقة.

* لم يكن أثر الاستشراق في هذه العلاقة كلُّه سلبيّاً، بل كانت له آثاره الإيجابية في تقديم الثقافة الإسلامية في

ماضيها البنائي والتراثي وحاضرها المتنامي، والإفادة من معطياتها العلمية والفكرية على مرِّ الزمن. وكان هناك - ولا يزال - مستشرقون مخلصون لهذا التوجُّه، لم تستهوِهم تلك التقلُّبات التي تعصف بالعلاقة بين الثقافات. وبذا لا يسوْغ التعميم في الحكم على الاستشراق سلباً أو إيجاباً.

* تتفاوت مواقف المستشرقين من الثقافة الإسلامية بحسب فئات المستشرقين ومدارسهم وأطوارهم ومدى علاقة بلدانهم بالمنطقة العربية والبلاد الإسلامية من خلال حقبة الاستعمار، إذ كان لبعض المستشرقين من الدول المستعمِرة أثرٌ في مسيرة الاستعمار.

* مع هذا عمل الاستشراق السياسي خاصَّةً وفي بعض جوانبه على تعميق صناعة الكراهية بين الثقافة الإسلامية خاصَّة، وغيرها من الثقافات، لاسيَّما الثقافة الغربية، من خلال عمله، في بعض جوانبه، على تشويه الثقافة الإسلامية في مصادرها وتراثها، وأوضاع المسلمين المعاصرة.

* كانت لبعض المستشرقين جهود في مجال دعم

الحملات التنصيرية في المجتمعات المسلمة فظهر مستشرقون منصِّرون، وأمدَّ هذا النوع من الاستشراق التنصيرَ بالمعلومة عن المجتمعات المستهدَفة بالتنصير، وساعد ذلك على تعميق الفجوة بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية، وبذلك ساعد على صناعة الكراهية بين الثقافات.

* مال بعض المستشرقين المتأخِّرين إلى الطرح الإعلامي والصحفي خاصةً، وأكثروا من الظهور على المواقع الإلكترونية والقنوات الفضائية، وطُلبت آراؤهم (العلمية) في تحليل بعض المواقف التي تزيد من الفجوة بين الثقافات، فكان قولهم مقبولاً ومؤثِّراً، لما يمثِّلونه من خبرة نادرة. بينما عزف مستشرقون آخرون عن هذا النوع من تسطيح القضايا ورفضوا الإدلاء بآرائهم على العامَّة، وفضَّلوا الإفصاح عنها في الصروح العلمية.

* تفاوتت مواقف المسلمين والعرب من هذا الجانب من جوانب الاستشراق في طرفين متناقضين في أغلب هذه المواقف، كلاهما غير منصف لجهود المستشرقين الحسنة أو السيئة. وبقيت ثلَّةٌ من المفكِّرين العرب

والمسلمين متوازنين في حكمهم على الاستشراق، من منطلق أنَّه كلَّما تعمَّق الباحث في دراسة الاستشراق كان أقربَ إلى الحكم الصواب. وأحسب أنَّ هذه الفئة من المفكِّرين توخَّت العدلَ في ذلك الحكم فكانت أقربَ من غيرها إليه.

* الباحثون عن المزيد من صناعة الكراهية بين الثقافات سيجدون مسوِّغات كثيرة وأحداثاً متتالية تؤيِّد هذا التوجُّه في الافتراق من منطلق مقولة الشاعر روديارد كيبلنج (١٨٩٢م): «الشرق شرق والغرب غرب ولا يلتقيان أبداً»[(١)]، وتكملة هذه القطعة: «حتَّى تقف الأرض والسماء حاضرين أمام عدالة الله الكبرى فوق العرش، (حيث) ليس هناك شرق ولا غرب ولا حدود ولا اختلاف بين الجنس والمولد، حيث يقف اثنان من الرجال الأشدَّاء وجهاً لوجه، وإن أقبلا من أواخر الأرض»[(٢)].

(١) انظر: حسن الأمراني: أيُّها الغرب أين مشرقك؟ ص ١١٦، في: مصطفى سلوي: الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة: يوم دراسي، مرجع سابق/ ١٦٦ ص.

(٢) انظر: أكبر أحمد: الإسلام تحت الحصار، مرجع سابق، ص ١٠٢.

* لا تقرُّ هذه الوقفاتُ هذا المنهج، ولا تراه منهجاً سويّاً يسهم في عمارة الأرض والاستخلاف فيها. والباحثون عما يطفئ هذه الكراهية يميلون إلى الالتقاء والتعارُف والتحالُف والتنافُس، وجميع صيغ التفاعُل الإيجابية دون التنازُل عن الثوابت والخصوصيات الثقافية، سيجدون ضالّتهم في الوحي المنزَّل من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ثم في آثار العلماء والمفكِّرين من الشرق والغرب، من منطلق مقولة الشاعر الألماني جوته (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢م): «إنَّ الشرق والغرب لله وليس لهما أنْ يفترقا بعد الآن».[1] وهذا هو المنهج الذي تتبنّاه هذه الوقفات.

* إذا كان هناك توصية فإنَّها تتركَّز في تكثيف قنوات الحوار مع المستشرقين عموماً من خلال وجود المزيد من مراكز بحوثٍ ودراساتٍ للاستشراق في الصروح العلمية القائمة، والصروح العلمية المستقلّة بذاتها، ومن

(١) انظر: حسن الأمراني: أيُّها الغرب أين مشرقك؟ ص ١١٦، في: مصطفى سلوي: الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة: يوم دراسي، المرجع السابق، ١٦٦ ص.

ثمَّ تكثيف عقد الندوات والمؤتمرات والحلقات التي يشترك بها المستشرقون أنفسهم؛ لتفعيل الحوار بين الثقافات، والسعي إلى تقليص الفجوة المفتعلة بينها، ومن ثمَّ العمل من خلال هذه المراكز وغيرها على التواصل مع المراكز الاستشراقية الأخرى في العالم شرقه وغربه.

* سيؤدِّي هذا الأسلوب العملي إلى المزيد من التعرُّف على المسهمين في صناعة الكراهية من المستشرقين، ومن ثمَّ إيجاد قنوات الاتِّصال معهم، كما سيؤدِّي إلى إيجاد قنوات الاتِّصال مع غيرهم من المعتدلين والمنصفين؛ لبيان الحقِّ وتجسير الفجوة الثقافية، والخروج إلى تقليص صناعة الكراهية بين الثقافات، من قِبَل هذه الفئة من الباحثين الدائمين في الشأن العربي والإسلامي.

* ومن ثمَّ يؤدِّي هذا التوجُّه، بتعبير آخر، إلى الحد من حرب الثقافات وصناعة الكراهية، بينها من جهة، وداخل الثقافة الواحدة من جهة أخرى، وسيؤدّي كذلك إلى بروز ظاهرة تحالُف الثقافات التي دعت إليها إسبانية من خلال الخطاب الذي ألقاه رئيس وزرائها خوسي

لويس ساباتيرو أمام الجمعية العامَّة التاسعة والخمسين يوم الثلاثاء ٦/ ٨/ ١٤٢٥هـ الموافق ٢١/ ٩/ ٢٠٠٤م، ثمَّ شاركتها فيما بعدُ تركية وأيَّدها الاتِّحاد الأوربّي والجامعة العربية[١].

* الحدّ من حرب الثقافات وتغليب التحالُف الثقافي في وجه عوامل التفرقة سينتج عنه ـ بحول الله تعالى ـ استقرار اجتماعي داخلي، مما سينتج عنه استقرارات أخرى سياسية واقتصادية داخلية؛ ذلك أنَّ الاستقرار الاجتماعي سيقوم على التقارُب بين المواطنين ومن يحكمونهم، مما يرسِّخ مفهوم الحكم الشوري أو الديمقراطي، ويقلِّص من شعور الحاكم أنه مستهدَف من المواطن، الذي قد يشعر أنه مستهدَف من معارضة هزيلة ضعيفة أُلبست لباس التطرُّف، وربَّما حصلت على تأييدات خارجية غير مرئية وغير معلنة، فاستُخدمت أدواتٍ لزعزعة الاستقرار.

---

(١) انظر: عبدالرزّاق الدُّوَّاي: في أخلاقيات الحوار بين الثقافات حول مبدأي التسامُح وحقِّ الاعتراف، التسامُح، ع ١٥ (صيف ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م). ص ٢٦٨ ـ ٣١٠.

* في المقابل يشعر المواطن أنَّه مستهدف من الحاكم، ذلك الشعور الذي يترك أثراً مشتركاً بالملاحقة، ويعطي الانطباع أنَّ الحاكم في البلاد النامية، ومنها العالم العربي والإسلامي، إنَّما يطبِّق إملاءات قسرية تقوم على التهديد من الخارج بزعزعة الكيان، أو بعدم السكوت عن التجاوزات والأخطاء التي قد تكون مفتعلة أو ناتجة عن تقصير غير مقصود في غالب الأحوال.

* إنَّما يأتي هذا الاستقرار من المواطن في الداخل، لا ممن يُظنُّ أنه قوَّة عدوَّة لا تُرى بالعين المجرَّدة، تملي على الحكومات أنْ تقف في وجه المواطن المتَّهم بالتطرُّف مما يزيد «في الانتهازية من جانب قوىً إرهابية نشطة تستغلُّ هذه الحالة المرعبة، فتكون النتيجة وحشاً هلامياً مخيفاً لن تستطيع قوَّة على الأرض الإمساك به لترويضه أو للقضاء عليه»(١).

(١) انظر: جميل مطر: الكراهية الأمريكية للعرب صناعة جديدة، ص ٢٦٣ ـ ٢٨٧. والنصُّ من ص ٢٨٧، في: بهجت قرني، وآخرون: صناعة الكراهية في العلاقات العربية ـ الأمريكية، مرجع سابق، ٤٠٦ ص.

* لا بُدَّ أنْ يُشعر المواطن فيَشعر أنَّ هذا الحاكم إنَّما جاء برغبة وتأييد منه، عن طريق البيعة الشرعية، أو أيِّ أسلوب مماثل لهذا النهج في الحكم يقوم على مبدأ المشاركة، وأنَّ الحاكم إنَّما يرعى مصلحة بلاده ومواطنيه.

* يعني هذا في البداية والنهاية ترسيخ مفهوم البيعة، والتركيز على مسؤولية المواطن تجاه هذا النهج الذي يرسِّخ مفهوم المشاركة في إدارة الشأن العام، ويبعد هاجس التدخُّلات الخارجية إلى أقصى حدٍّ ممكن، كما يتغلَّب على مشكلة فقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم. هذه المشكلة التي جرى تأجيجها على مختلف الصُّعد حتى أصبح الحكومي في نظر الشعبي عدوّاً يتربَّص بالشعبي الدوائر، فيتأجَّج هذا الانفصام المفتعل بتبادُل الاتِّهامات بين الحكومي والشعبي.

* أحسبُ أنَّ هذه المشكلة أمرٌ مصطنع روَّجته أهواء وتحزُّبات من الطرفين، جعلت من عقيدتها مناصبة حكوماتها العداوة، ومن ثمَّ انشغل، أو قل إنْ شئت: أُشْغِلَ الطرفان عن التركيز على مفهوم المشاركة، فكانت الفائدة من هذه الحال الانفصامية من نصيب طرف

ثالث، قد يكون له أثر في إيجاد هذه الحال. وخطابٌ مثل هذا متَّهمٌ ابتداءً بأنه خطابٌ متحيِّز، وعليه أنْ يعيد النظر في موقفه القائم على إيجاد فجوة وتوسيعها بين القيادة والقاعدة الشعبية، فقد أثبت هذا الأسلوب أنه لم يُصلح من الأمر شيئاً، ولم يكن ولن يكون أسلوباً فعّالاً، بل إنه أحدثَ أضراراً كبيرة[1].

وفي الختام لا مندوحة عن تفعيل سبل التفاهُم بين الثقافات، مع الاعتراف بالفروقات التي لا تطغى على جوانب الالتقاء، واتخاذ التدابير لهذا التفعيل، وتذليل العقبات التي تصدُّ عن الاستمرار في عمارة الأرض والاستخلاف عليها، ومن ثَمَّ التقليص من الكراهية بين الثقافات. ولن يفضي هذا التفعيل، على سبيل الاحتراز، إلى التنازُل عن الثوابت وتجاهُل الأصل في العلاقات بين الأمم وثقافاتها وحتمية وجود الاختلاف.

وكان الله في عون الجميع.

---

(١) انظر: أحمد كمال أبو المجد: حوار الحضارات: الإسلام والغرب، ص ٥١ ـ ٦٧، في: خالد الكركي، مراجع ومقدِّم، حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي، مرجع سابق، ٢٦٨ ص.

مراجع البحث

١. أبو المجد، أحمد كمال: حوار الحضارات: الإسلام والغرب. في: خالد الكركي، مراجع ومقدِّم: حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي، عمّان، مؤسّسة عبدالحميد شومان، ٢٠٠٤م.

٢. أحمد، أكبر: الإسلام تحت الحصار، ترجمة عزّت شعلان، بيروت، دار الساقي، ٢٠٠٤م.

٣. الأحمري، محمد بن حامد: ملامح المستقبل، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٤. إدريس، محمد جلاء: الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، القاهرة، العربي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٥. إدريس، محمد جلاء: العلاقات الحضارية، دمشق، دار القلم، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٦. إسبوزيتو، جون إل: الإسلام والغرب عقب ١١ أيلول/ سبتمبر: حوار أم صراع ثقافي حضاري؟، دبي، مركز

الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٣م. (سلسلة محاضرات الإمارات؛ ٧٤).

٧. إسبوزيتو، جون إل: الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع، ترجمة هيثم فرحت، اللاذقية دار الحوار، ٢٠٠٢م.

٨. اصطيف، عبد النبي: نحو استشراق جديد، الاجتهاد. ع ٥٠/ ٥١ (ربيع وصيف العام ٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ).

٩. الأمراني، حسن: أيها الغرب أين مشرقك؟ في: مصطفى سلوي: الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة: يوم دراسي،وجدة، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٣م.

١٠. أمين، جلال: برنارد لويس أو دليل الرجل الذكي إلى التشهير بالمسلمين، الميثاق، ع ١٣ (١٨ تشرين الثاني ٢٠٠٣م).

١١. أمين، جلال: عصر التشهير بالعرب والمسلمين: نحن والعالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، القاهرة، دار الشروق، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

١٢. باربر، بنجامين ر: إمبراطورية الخوف: الحرب والإرهاب والديمقراطية/ ترجمة عمر الأيوبي، بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥م.

١٣. باقادر، أبو بكر: الأنثروبولوجيا والاستشراق، الاجتهاد، ع ٤٧/٤٨ (صيف وخريف العام ٢٠٠٠م/ ١٤٢١هـ).

١٤. بايبر، مايكل كولينز: كهنة الحرب الكبار: التاريخ السردي لوصول (المحافظين الجدد) التروتسكيين إلى السلطة في الولايات المتّحدة وتدبيرهم الحرب ضدَّ العراق كخطوة أولى في سعيهم نحو تحقيق إمبراطورية عالمية/ نقله إلى العربية عبد اللطيف أبو البصل، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٥. بدران، إبراهيم: أفول الثقافة، بيروت، المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢م.

١٦. بدوي، عبد الرحمن: دور العرب في تكوين الفكر الأوربِّي، القاهرة، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤م.

١٧. بدوي، عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، بيروت، المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ط٤، ٢٠٠٣م.

١٨. بلاكر، كيمبرل، محرِّرة: أصول التطرُّف: اليمين المسيحي في أمريكا/ ترجمة هبة رءوف وتامر عبدالوهَّاب، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٦م.

١٩. البنَّا، رجب: صناعة العداء للإسلام، القاهرة، دار المعارف، ٢٠٠٣م.

٢٠. البهي، محمد: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، القاهرة، دار غريب، ط١١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٢١. بوكاي، موريس: دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨م.
٢٢. بيارنيس، بيير: القرن (الحادي والعشرون) لن يكون أمريكيًّا/ ترجمة مدني قصري، بيروت، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣م.
٢٣. التطاوي، عبدالله: الحوار الثقافي: مشروع التواصُل والانتماء، القاهرة، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ٢٠٠٦م. (سلسلة مكتبة الأسرة).
٢٤. جحا، ميشال: الاستشراق الألماني في القرن العشرين، الاجتهاد، ع ٥٠/ ٥١ (ربيع وصيف العام ٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ).
٢٥. الجراد، خلف: أبعاد الاستهداف الأميركي، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
٢٦. جريش، آلان: الإسلاموفوبيا/ ترجمة وتعليق إدريس هاني، الكلمة، مج ١٠ /ع ٤٠ (صيف ٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ).
٢٧. جواد، إبراهيم محمد: الصراع بين الغرب والإسلام: من يفجّره؟ ولماذا؟ بيروت، دار الهادي، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
٢٨. حسن، محمد خليفة: أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر،

الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٩. الحسيني، نسيب: الغرب المتخيَّل: رؤية الآخر في الوجدان السياسي العربي/ ترجمة غازي برُّو، بيروت، دار الفارابي، ٢٠٠٤م.

٣٠. حمد، محمد عبدالحميد: حوار الأمم: تاريخ الترجمة والإبداع عند العرب والسريان، دمشق، دار المدى، ٢٠٠١م.

٣١. خشبة، سامي: نقد الثقافة، القاهرة، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، ٢٠٠٤م. (سلسلة مكتبة الأسرة؛ الأعمال الفكرية).

٣٢. خفاجي، باسم: لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام ﷺ، الرياض، مجلة البيان، ١٤٢٧هـ (سلسلة كتاب البيان؛ ٧٧)

٣٣. الدبَّاغ، مصطفى: الإسلام فوبيا ISLAMOPHOBIA: عقدة الخوف من الإسلام، عمَّان، دار الفرقان، ط٢، ٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ.

٣٤. الدعمي، محمد: الاستشراق: الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦م.

٣٥. الدُّوَّاي، عبدالرزَّاق: في أخلاقيات الحوار بين الثقافات حول مبدأي التسامُح وحقِّ الاعتراف، التسامُح.، ع ١٥ (صيف ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

٣٦. ديكوبير، كريستيان: خلاصة عامة: حتى لا ننتهي من العلوم الشرقية/ ترجمة محمد صبح، في: يوسف كرباج ومنفرد كروب، مشرفان: تأمُّلات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضره/ ترجمة عدنان حسن ومحمد صبح، بيروت، قُدمس، ٢٠٠٦م.

٣٧. رايشموت، شتيفان: خطابات الاستشراق- موقع الدراسات الإسلامية والشرقية في ألمانية اليوم/ ترجمة عدنان حسن، في: يوسف كرباج ومنفرد كروب، مشرفان، تأمُّلات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضره/ ترجمة عدنان حسن ومحمد صبح، بيروت، قُدمس، ٢٠٠٦م.

٣٨. الربيعي، فاضل: خطاب النخبة الثقافية العربية وأساطير ما بعد الاستشراق (١) .الجزيرة الثقافية، ع ١٨٥ (١٧/ ١/ ١٤٢٨هـ/ ٥/ ٢/ ٢٠٠٧م).

٣٩. الربيعي، فاضل: ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧م.

٤٠. رضا، إبراهيم: مالك بن نبي وفلسفة الحضارة الإسلامية الحديثة، ثقافتنا، مج ١ /ع ٢ (شتاء ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

٤١. الرفاعي، عبدالجبّار، معدّ: التسامُح ليس منّةً أو هبة، بيروت، دار الهادي، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٤٢. رمزي، أحمد: تعليق، في: المغرب في الدراسات الاستشراقية، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٥م.

٤٣. روا، أوليفييه: أوهام ١١ أيلول: المناظرة الاستراتيجية في مواجهة الإرهاب، بيروت، دار الفارابي، ٢٠٠٣م.

٤٤. زقزوق، محمود حمدي: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدوحة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤٠٤هـ.

٤٥. الزيادي، محمد فتح الله: قراءات في مناشير استشراقية: دراسة في الاستشراق السياسي، مستقبل العالم الإسلامي، ع ٤، (١٩٩١م).

٤٦. سالم، طاهر عبد: تعارُف الحضارات: من أطروحات الاستشراق إلى التمركُز الإعلامي والدعاية المضادّة، في: زكي الميلاد، معدّ تعارُف الحضارات، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٤٧. سردار، ضياء الدين وميريل وين ديفيز: لماذا يكره العالم

أمريكة؟/ نقله إلى العربية معين الإمام، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٤٨. سعيد، إدوارد: الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق/ ترجمة محمد عناني، القاهرة، رؤية، ٢٠٠٦م.

٤٩. سعيد، إدوارد: تغطية الإسلام/ ترجمة وتقديم محمد عناني، القاهرة، دار رؤية، ٢٠٠٥م.

٥٠. سعيد، إدوارد: الثقافة والإمبريالية/ نقله إلى العربية وقدَّم له كمال أبو ديب، بيروت، دار الآداب، ١٩٩٧م.

٥١. سعيد، جودت: لِمَ هذا الرعب كله من الإسلام، وكيف بدأ؟! دمشق، دار الفكر، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٥٢. السلُومي، مُحَمَّد بن عبدالله: ضحايا بريئة للحرب على الإرهاب، [لندن: المنتدى الإسلامي]، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. (سلسلة كتاب البيان؛ ٦٣).

٥٣. سلوي، مصطفى: الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة: يوم دراسي، وجدة، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٣م.

٥٤. السمَّاك، محمد: الحوار الإسلامي ـ المسيحي في الألفية الثالثة. في: خالد الكركي، مراجع ومقدِّم: حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي، عمَّان، مؤسَّسة عبدالحميد شومان، ٢٠٠٤م.

٥٥. السماك، محمد: الصهيونية المسيحية، بيروت، دار النفائس، ط٣، ١٩٩٣م.

٥٦. السمّاك، محمد: موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٥٧. السيّد، رضوان: خمسة وعشرون عامًا على كتاب (الاستشراق): استشراق إدوارد سعيد وعلاقات الشرق بالغرب، دراسة في النصّ والوعي والواقع. في: يوسف كرباج ومنفرد كروب، مشرفان: تأمُّلات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضره/ ترجمة عدنان حسن ومحمد صبح، بيروت، قُدمس، ٢٠٠٦م.

٥٨. السيّد، رضوان وآخرون: من التسامُح إلى احترام الآخر في: عبدالجبّار الرفاعي، معدّ: التسامُح ليس منّةً أو هبة، بيروت، دار الهادي، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٥٩. السيّد، رضوان: نقد الاستشراق، الاجتهاد، ع ٥٠/ ٥١ (ربيع وصيف العام ٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ).

٦٠. الشاهد، السيّد مُحَمَّد: الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، الاجتهاد، ع ٢٢ (شتاء العام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

٦١. شاهين، أحمد: صنّاع الشرّ، القاهرة، دار المعارف، ٢٠٠٤م. (سلسلة اقرأ؛ ٦٩٥).

٦٢. شتيبات، فريتس: الإسلام شريكاً: دراسات عن الإسلام والمسلمين/ ترجمة عبدالغفّار مكّاوي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. (سلسلة عالم المعرفة؛ ٣٠٢).

٦٣. شرابي، هشام: المثقّفون العرب والغرب: عصر النهضة ١٨٧٥ ـ ١٩١٤، بيروت: المؤلّف، ط٥، ١٩٩٩م.

٦٤. الشريف، ريجينا: الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي/ ترجمة أحمد عبدالله عبدالعزيز، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٥م. (سلسلة عالم المعرفة؛ ٩٦).

٦٥. الطحاوي، حاتم: الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية (محمد خليفة حسن)، الاجتهاد، ع ٥٠/ ٥١ (ربيع وصيف العام ٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ).

٦٦. طرابيشي، جورج: ازدواجية العقل: دراسة تحليلية نفسية لكتابات حسن حنفي، دمشق، دار بترا، ٢٠٠٥م. (سلسلة المرض بالغرب؛ ٢).

٦٧. طرابيشي، جورج: هرطقات عن الديموقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، بيروت، دار الساقي، ٢٠٠٦م.

٦٨. عامل، مهدي: هل القلب للشرق والعقل للغرب؟ ماركس

في استشراق إدوارد سعيد، بيروت، الفارابي، ط٣، ٢٠٠٦م.

٦٩. عبد الرؤوف، محمد عوني: فردريش ريكرت عاشق الأدب العربي، بيروت، مكتبة الآداب، ط٢، ٢٠٠٦م.

٧٠. عبدالرزّاق، صلاح: المفكّرون الغربيون المسلمون: دوافع اعتناقهم الإسلام، بيروت، دار الهادي، ٢ج، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٧١. عبدالغني، مصطفى: حقيقة الغرب بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية، القاهرة، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ٢٠٠١م. (سلسلة مكتبة الأسرة، الأعمال الخاصّة).

٧٢. عبدالكريم، إبراهيم: الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل، عمّان، دار الجليل، ١٩٩٣م.

٧٣. عبدالله، عصام: التسامُح، القاهرة، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ٢٠٠٦م. (سلسلة مكتبة الأسرة).

٧٤. عتريسي، طلال: صورة الإسلام: مسؤولية الغرب والمسلمين، في: أبو يعرب المرزوقي وآخرون .مستقبل الإسلام، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٧٥. عثمان، عثمان أبو زيد ومحمد وقيع الله أحمد: الوجود الإسلامي في أمريكة: الواقع والأمل، مكّة المكرّمة، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٦هـ (سلسلة دعوة الحقّ؛ ٢١٢).

٧٦. عزُّوزي، حسن: الإسلام وتهمة الإرهاب، فاس، المؤلِّف، ط٢، ٢٠٠٦م.

٧٧. عزُّوزي، حسن: الغرب وسياسة التخويف من الإسلام، مكناس، ألوان مغربية، ٢٠٠٢م. (سلسلة اخترت لك؛ ١٠).

٧٨. عطا الله، سمير: الشرق الأوسط، (٢٨/ ١/ ١٤٢٨هـ - ٩/ ١/ ٢٠٠٧م).

٧٩. العقيقي، نجيب: المستشرقون: موسوعة في تراث العرب، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتَّى اليوم، ٣ مج، القاهرة، دار المعارف، ط٤، ١٩٨٠م.

٨٠. العليّان، عبدالله: الإسلام والغرب: ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، بيروت، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م.

٨١. عمارة، مُحَمَّد: الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، القاهرة، دار الشروق، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٨٢. غابوريو، مارك: الإسلام والأديان الآسيوية الأخرى في نظر المستشرقين الفرنسيين في: يوسف كرباج ومنفرد كروب، مشرفان، تأمُّلات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضره/ ترجمة عدنان حسن ومحمد صبح، بيروت، قُدمس، ٢٠٠٦م.

٨٣. غلاَّب، عبدالكريم: العرض التمهيدي، في: المغرب في

الدراسات الاستشراقية، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٥م.

٨٤. فرح، سهيل: الاستشراق الروسي: نشأته ومراحله التاريخية، الفكر العربي، ع ٣١ /مج ٥ (كانون الثاني/ يناير ١٩٨٣م).

٨٥. فيفس، أورلاندو. مراجع: الإسلام والمنحى الروسي، التسامُح، ع ١٦ (خريف ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

٨٦. قاسم، قاسم عبده: ماهية الحروب الصليبية، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. (سلسلة عالم المعرفة؛ ١٤٩).

٨٧. القحطاني، محمد بن سعيد بن سالم: الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، الرياض، دار طيبة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٨٨. قرامي، آمال: قضية الردة في الفكر الإسلامي الحديث، تونس، دار الجنوب، ١٩٩٦م، (سلسلة معالم الحداثة).

٨٩. قرني، بهجت، وآخرون: صناعة الكراهية في العلاقات العربية ـ الأمريكية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣م.

٩٠. قصير، سمير: تعليق/ ترجمة محمد صبح، في: يوسف كرباج ومنفرد كروب، مشرفان: تأمُّلات في الشرق، تقاليد

الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضره/ ترجمة عدنان حسن ومحمد صبح، بيروت، قُدمس، ٢٠٠٦م.

٩١. كارتر، جيمي: قيمنا المعرَّضة للخطر: أزمة أمريكة الأخلاقية/ ترجمة محمد محمود التوبة، الرياض، مكتبة العيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٩٢ .كرباج، يوسف ومنفرد كروب، مشرفان: تأمُّلات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضره/ ترجمة عدنان حسن ومحمد صبح، بيروت، قُدمس، ٢٠٠٦م.

٩٣. الكركي، خالد، مراجع ومقدِّم: حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي، عمَّان، مؤسَّسة عبدالحميد شومان، ٢٠٠٤م.

٩٤. كوش، عمر: (المسألة الدينية في القرن الحادي والعشرين) قضية يعالجها كتاب جورج قرم، الحياة، ع ١٥٩٨٩ (١٣/ ١/ ٢٠٠٧م. ٢٤/ ١٢/ ١٤٢٧هـ).

٩٥. الكوش، محمد: الثابت والمتحوِّل في الخطاب الاستشراقي بعد أحداث ١١ شتنبر في: مصطفى سلوي الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة: يوم دراسي، وجدة، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٣م.

٩٦. الكيلاني، شمس الدين: شغف الرحَّالة العرب بالتعرُّف على أوربة: التعارف سبيلاً للحوار في: زكي الميلاد، معدّ .تعارُف الحضارات، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٩٧. الكيلاني، شمس الدين: صورة أوربّة في رحلة ابن فضلان: بلاد الخزر والبلغار والروس والاسكندنافيين، التسامُح، ع ٩ (شتاء ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

٩٨. اللاوندي، سعيد: الإسلاموفوبيا: لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟، القاهرة، نهضة مصر، ٢٠٠٦م.

٩٩. لويس، برنارد: الإسلام والدولة، التسامُح، ع ٨ (خريف ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م).

١٠٠. لويس، برنارد: مسألة الاستشراق، في: هاشم صالح، معدٌّ ومترجم .الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، بيروت، دار الساقي، ط٢، ٢٠٠٠م.

١٠١. ماهر، حازم علي: مالك بن نبي، المسلم المعاصر، مج ٣٠ /ع ١١٨ (رجب، شعبان، رمضان ١٤٢٦هـ ـ أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر ٢٠٠٥م).

١٠٢. ماهر، مصطفى، معدّ: حوار بين الألمان والعرب: سجلُ الأسبوع الثقافي العربي الألماني الذي أقيم في (توبينجن) عام ١٩٧٤م، القاهرة، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ١٩٧٦م.

١٠٣. المبارك، راشد: فلسفة الكراهية: دعوة إلى المحبَّة، بيروت، دار صادر، ٢٠٠١م.

١٠٤. مراد، يحيى: معجم أسماء المستشرقين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٠٥. مرقس، سمير: الآخر الحوار المواطنة، القاهرة، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ٢٠٠٦م. (سلسلة مكتبة الأسرة).

١٠٦. المزروعي، علي الأمين: القيم الإسلامية والقيم الغربية، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، د. ت. (سلسلة دراسات عالمية؛ ٢١).

١٠٧. المسلاتي، مصطفى نصر: الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، طرابلس (ليبية)، دار اقرأ،١٩٨٦ م.

١٠٨. المسيري، عبدالوهَّاب: في الخطاب والمصطلح الصهيوني: دراسة نظرية وتطبيقية، القاهرة، دار الشروق، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٠٩. مطر، جميل: الكراهية الأمريكية للعرب صناعة جديدة، في: بهجت قرني، وآخرون .صناعة الكراهية في العلاقات العربية ـ الأمريكية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣م.

١١٠. مطبَّقاني، مازن بن صلاح: الاستشراق والاتّجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١١١. الموسوي، محسن جاسم: الاستشراق السياسي: فرضياته واستنتاجاته. ـ الاستشراق، ع ٣ (١٩٨٩م).

١١٢. ميد، والتر راسل: بلاد الله: تأثير الإنجيليين الجدد في السياسة الخارجية الأمريكية، التسامُح، ع ١٥ (صيف ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

١١٣. الميلاد، زكي، معدّ: تعارُف الحضارات، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١١٤. الميلاد، زكي: المسألة الحضارية: كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغيِّر، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩م.

١١٥. الميلاد، زكي: من حوار الحضارات إلى تعارُف الحضارات، في: زكي الميلاد، معدّ: تعارُف الحضارات، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١١٦. النجّار، زغلول: الإسلام والغرب في كتابات الغربيين، القاهرة، نهضة مصر، ط٢، ٢٠٠٣م.

١١٧. النفيسي، عبدالله بن فهد: هل يشكّل الإسلام خطرًا على الغرب؟/ تحرير ساجد العبدلي المطيري، بيروت، المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣م.

١١٨. النملة، علي بن إبراهيم الحمد: الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدِّداتها، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م.

١١٩. النملة، علي بن إبراهيم الحمد: ظاهرة الاستشراق: دراسة في المفهوم والارتباطات، الرياض، مكتبة التوبة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٢٠. النملة، علي بن إبراهيم: مراجعات في نقد الاستشراق: الاستشراق والإسلام، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع ٣ (ربيع الآخر ١٤٢٨هـ).

١٢١. النملة، علي بن إبراهيم الحمد: المستشرقون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين، مع نماذج من المستشرقين، الرياض، مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٢٢. النملة، علي بن إبراهيم الحمد: النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط٣، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٢٣. النيفر، مصطفى: الأمير في دولة القراصنة: رحلة الأمير لودفيغ هيرمان فون بوكلير. موسكا إلى تونس (١٨٣٥)، الاجتهاد، ع ٥٠/ ٥١ (ربيع وصيف العام ٢٠٠١/ ١٤٢٢هـ).

١٢٤. هالسل، غريس: يد الله: لماذا تضحّي الولايات المتّحدة بمصالحها من أجل إسرائيل؟/ ترجمة مُحَمَّد السمّاك، القاهرة، دار الشروق، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٢٥. هاليداي، فريد: مئة وهم حول الشرق الأوسط، بيروت، دار الساقي، ٢٠٠٦م.

١٢٦. هنتش، تييري: الشرق المتخيَّل: رؤية الغرب إلى الشرق المتوسّطي/ ترجمة غازي برُّو وخليل أحمد خليل، بيروت، دار الفارابي، ٢٠٠٤م.

١٢٧. هوبسون، جون إم: الجذور الشرقية للحضارة الغربية/ ترجمة منال قابيل، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٢٨. هوفمان، مراد: الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود/ تعريب عادل المعلّم وياسين إبراهيم، القاهرة، مكتبة الشروق، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١٢٩. هونكه، زيغريد: التوجُّه الأوربّي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة وقدر محتوم/ ترجمة هاني صالح، وتقديم إسماعيل مروة، بيروت، مؤسَّسة الإيمان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٣٠. يُهنسن، بابر: الدراسات الإسلامية: الشروط الفكرية والسياسية لفرع معرفي، في: يوسف كرباج ومنفرد كروب، مشرفان: تأمُّلات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضره/ ترجمة عدنان حسن ومحمد صبح، بيروت، قُدمس، ٢٠٠٦م.

مستخلص

يعالج هذا الكتاب المشاعر السلبية التي تحملها ثقافات الأمم بعضها تجاه بعض ومبعث هذه الكراهيات وما يغذيها. وما تثيره من مواقف ونقاشات ونتائج.

انقسم الكتاب إلى أربعة فصول بعد المقدمة التي أورد فيها المؤلف أفكاراً حول موضوعه من الواقع المنظور. تناول أولاً منهج نقد الاستشراق، وأثر المستشرقين في موضوع الثقافات الشرقية وإثارتها، وموقفهم منها وموقف الشرقيين منهم. ثم تحدث عن وجوه الالتقاء بين الإسلام والملل الشرقية الأخرى من خلال مناهج عديدة في التقاء ثقافاتها، وتأثر بعضها ببعض.

وانتقل إلى الحديث عن وسائل صناعة الكراهية بين الثقافات؛ فبين أثر المستشرقين في تلك الصناعة ووضع تصنيفاً لهم على هذا الأساس، وذكر وسائلهم، وتحدث عنهم في مجالات السياسة والتنصير والإعلام والصحافة.

وختم الفصول بوسائل صناعة الكراهية عند المستشرقين، جعل منها القديم ومنها الحديث. ثم تناول ثلاث مسائل توقف عندها، وهي الخوف من الإسلام، وصهينة الاستشراق، والاستشراق والإنترنت. وانتهى بخاتمة تضمنت خلاصة البحث ونتائجه، ألحقها بقائمة مستفيضة من المراجع والمصادر.

Abstract

This book deals with the negative feelings mutually carried between contemporary cultures; the grassroots of hatred between cultures; the elements feeding such hatred and the attitudes, arguments and results they raise.

The book is divided into four chapters and an introduction, in which thoughts have been set up about the subject of hatred from the actual status. First, it handles the method of criticizing oreintalism, the effect of orientalists on eastern cultures, their attitudes towards such cultures and the views of eastern scholars of orientalism. Then it talks about the points of agreement between Islam and the other eastern creeds through various methods of cultural accord including the methods of mutual influence.

After that, it talks about the ways and means of hatred-making among cultures emphasizing the influence of some orientalists in the efforts of hatred-making, classifying them into related categories with mention of their methods of using politics, evangelistic missionaries, media and press.

The last chapter concentrates on the past and present ways and means of hatred-making that oreintalists followed presenting them as old ways and modern ways. Thereafter, the author deliberately handles three vital issues: Islamophobia, zionizing oreintalism and the use of the Internet by orientalists.

The book comes to an end with a conclusion involving an epitome of the research and its results, and it is appended by an expatiated index of references and sources.